كتاب الهلال

# برتراند راسل

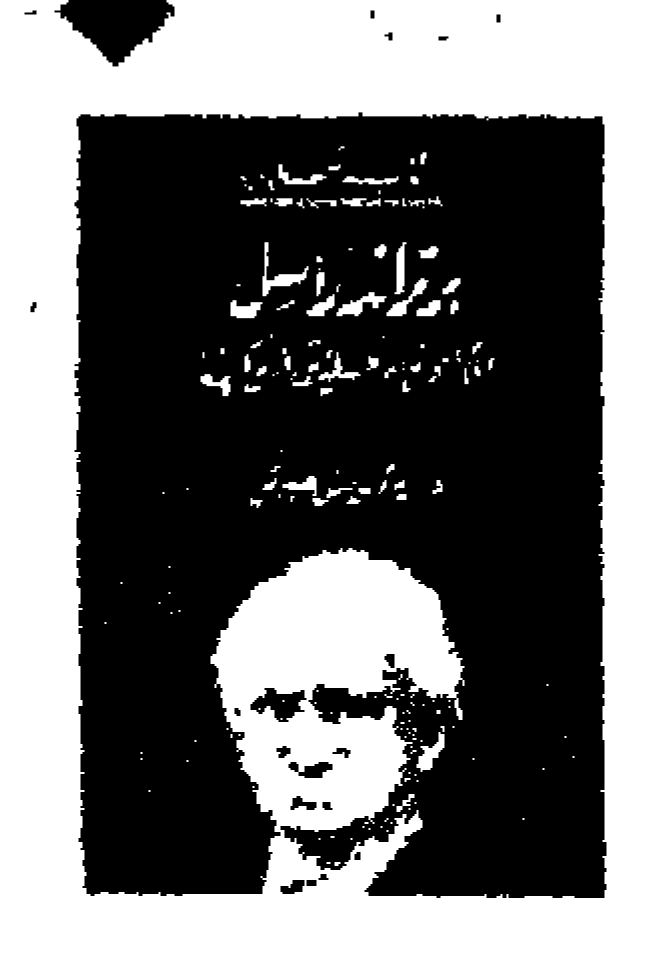
## أمام المحاكم الإنجليزية والأمريكية

د. رمسيس عوض

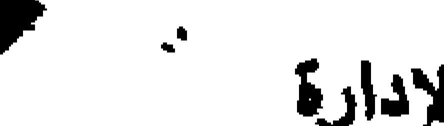
# كتاب الهلال

سلسلة شهرية تصدر عن موسسة دار الهلال






الاصدار الأول: يونيو ١٩٥١


## الإدارة

القاهرة - ١٦ شارع محمد عز العرب بك (المبتديان سابقا) ت ٣٦٢٥٤٥٠ (٧ خطوط) مكاتبات: ص ب ٦١ العتبة - القاهرة - الرقم البريدى ١١٥١١ - تلغرافيا المصور - القاهرة ج م ع

تلكس

[illegible]

فاكس

[illegible]



ثمن النسخة: سوريا ١٢٥ ليرة - لبنان ٥٠٠٠ ليرة - الأردن ٢٢٥٠ فلس - الكويت ١,٢٥٠ فلسا - السعودية ١٢ ريالا - البحرين ١,٢ دينار - قطر ١٢ ريالا - الإمارات ١٢ درهما - سلطنة عمان ١,٢ ريال - اليمن ٤٠٠ ريال - المغرب ٤٠ درهما - فلسطين ٢,٥ دولار - سويسرا ٤ فرنكات - السودان ٢,٥ جنية



البريد الإلكترونى darhilal @ idsc. gov. eg

# برتراند راسل

## أمام المحاكم الإنجليزية والأمريكية

د. رمسيس عوض

دار الهلال

الغلاف : الفنان عباده الزهيرى الخطوط : الفنان محمد العيسوى

رقم الإيداع ٩٥٢٩ / ٢٠٠٩ I . S . B . N 977-07-1351-1

# مقدمة

# سيرة حياته (١٨٧٢ - ١٩٧٠)

اسـمـه بالكامل برتراند آرثر وليـام راسل ولقـبـه الإيرل راسل الثالث .

ولد فى أسرة أرستـقـراطيـة عريقـة لها شـأن عظيم في الحياة العامة الإنجليزية ... جذورها تمتد لا إلى عدة أجيال فـحـسب بل إلى عـدة قـرون خلت . مـات والداه وهـو فى سن مبكرة لدرجة أن ذاكرته لا تعيهمـا . وبعد وفـاة والديه تولى جده وجدته لأمـه تربيتـه . وجـده الذى رباه هـو اللورد جـون راسل (١٧٩٢ – ١٩٧٨) . وهـو رجـل قـــام بدور هـام على مسرح السيـاسـة الإنجليزية فى القرن التـاسع عـشر ، تولى رئاسة الوزارة فى عهد الملكة فيكتوريا مرتين وعاصر نابليون وهو لا يزال امـبــراطورا . انتــمى اللورد راسل إلى حـزب الويجز الذى تطور فيما بعد واتخذ لنفسه اسما جديدا مازال معروفا به حتى وقتنا الراهن هـو حزب الأحرار . ومن الثابت أن اللورد راسل من السـاسـة الإنجليز الذين أسهموا بنصيب وافـر فى إرسـاء قـواعـد الديمقـراطيـة فى بريطانيـا ، فـهـو المسئول عن تقديم قانون الإصلاح المشهور عام ١٨٣٢ ، ولا شك أن جو العـائلة الليبـرالى المتـحـرر أثر فى برتراند راسل

منذ يفاعته فهو يقول فى هذا الصدد : «لقد تعلمت نوعا من الإيمان النظرى بالمذهب الجمهورى الذى لا يرى غضاضة فى السماح لملك أن يتولى الحكم طالما أنه موظف فى خدمة الشعب ويتعرض للطرد إذا ثبت عدم صلاحيته . وقد كان من عادة جدى الذى لم يكن الاحترام للأشخاص أن يشرح وجهة نظره هذه إلى الملكة فيكتوريا التى لم تتحمس لها .

## عائلة متقشفة رغم ثرائها
## تناصب رجال الدين العداء

لم تكن عائلة راسل تناصب مبادىء الدين المسيحى العداء. فقد كان عداؤها منصبا ضد على رجال الدين الذين يتدخلون فى مجريات الحياة العامة ويمارسون سلطانا سياسيا . ومن الغرابة بمكان أن نعرف أن عائلة راسل كانت على الرغم من ذلك شديدة التزمت فى مجال الدين والأخلاق والفضيلة . لم تكن طفولة برتراند راسل سعيدة بأى حال من الأحوال فقد تضافرت ظروف شتى فى إشاعة الشقاء فى قلبه . كان فى طفولته يعانى من الوحدة ويقاسى من الخجل . فهو لا يعرف أقرانا له يلعب ويمرح معهم كما يفعل سائر الصبية فى مثل عمره . ولهذا كتب عليه منذ نعومة أظفاره أن يعيش فى وحدة وعزلة . أضف إلى ذلك أن الأسرة كانت تنظر إلى

الخمور والتدخين على أنهما شر مستطير.

كان من الطبيعي ألا يسعد برتراند الصبى فى هذا الجو الخانق المتزمت ، كما كان من الطبيعى أن يتمرد عليه . وهذا هو السر فى أن برتراند راسل أوقف فيما بعد جانبا من كتاباته لمحاربة الكثير من أسس المجتمع الفيكتورى الفكرية . كانت كراهية راسل لأسلوب تربيته الأولى عنيفة جارفة ، فهو يدينه ويدمغه بلا لين أو هوادة ، أنظر إليه وهو يتحدث عن هذا النظام التربوى فيقول : «كانت الفضيلة هى الشىء الوحيد الذى تعلق الأهمية عليه ، الفضيلة على حساب العقل والصحة والسعادة وكل مصلحة دنيوية» . والذى لا شك فيه أن ثورته كفيلسوف على التقاليد وقواعد الأخلاق السائدة فى المجتمع الفيكتورى مرتبطة ارتباطا وثيقا بظروف نشأته الأولى بل هى فى واقع الأمر رد فعل طبيعى لها . ولكن ثورته على أخلاقيات المجتمع الفيكتورى المتزمت لم تتجاوز بحال من الأحوال حدود الفكر إلى مجالات العمل . والدليل على ذلك ما كتبه برتراند راسل فى عام ١٩٣٢ فى مقال يحمل عنوانا (فى مدح الكسل) : «قد نشأت شأنى فى ذلك شأن معظم الجيل التى انتمى إليه على المثل القائل بأن «اليد البطالة نجسة» ، ولما كنت طفلا يتحلى بأسمى الفضائل ،

كنت أصدق كل ما كان يقال لى . واكتسبت ضميرا مازال يدفعنى إلى العمل الشاق حتى اللحظة الراهنة . ولكن على الرغم من أن ضميرى لايزال يسيطر على «أفعالى» إلا أن «آرائى» قد اجتاحتها ثورة» .

تمرد راسل بفكره على البيئة التى شب فى أحضانها ودمغها بحكمه القاسى عليها بأنها بيئة مريضة تشجع نوعا مريضا من الأخلاق إلى الحد الذى يصل فيه هذا التشجيع إلى إصابة الذكاء بالشلل .

## الطريق إلى السعادة :

ظهر خلاف برتراند راسل مع عائلته فى سن مبكرة حول دراسة الفلسفة فقد كانت العائلة غير راضية عن هذا الاتجاه فيه . وعملت الأسرة كل ما فى وسعها لكى تثنيه عن دراستها ، فكانت تدأب على السخرية من دراسة الفلسفة والحط من شأنها وتقول له دائما فى تهكم What is mind ? nomatter . What is matter? Never mind.

وضاق الغلام ذرعا بهذا التهكم المر على ميوله واستعداده الفطرى . وبات يتشوق إلى اليوم الذى يتحرر فيه من جحيم البيت الخانق . ورغم أن راسل لم يلتحق بأية مدرسة خاصة أو عامة (فقد توفر على تدريسه فى حداثته بعض المربين

الخاصين المرموقين) ، إلا أنه لم يكن يكره وحشته وعزلته عن صحبة أقرانه من الصبية بقدر ما كان يكره جو البيت الذى أشاع فى قلبه الابتئاس . وعندما حان اليوم الذى التحق فيه راسل بكلية ترينيتى فى جامعة كامبردج (فى الثامنة عشرة من عمره) ، غمرته سعادة عارمة ، واستبدت به نشوة جارفة فقد أسكره الجو الجامعي وأنعش روحه منذ اليوم الأول . ولا غرو فى ذلك ، ففى الجامعة كان فكره يستطيع الانطلاق والتعبير عما شاء من آراء ومعتقدات دون أن يحملق فيه أحد على أنه مختل فى قواه العقلية ، أو ينظر إليه على أنه مجرم أثيم كما كان أفراد عائلته يفعلون . ولم يجد راسل أدنى مشقة فى أن يألف جو الجامعة الذى تلاءمت روحه معه بسرعة فائقة . واستطاع فى أول فصل دراسى له فى كامبردج أن يعقد صداقات وطيدة لم تنفصم عراها مدى الحياة .

وبعد أن تخرج برتراند راسل من الجامعة بتفوق فى علم الرياضة جاءت مشكلة العمل الذى يقوم بممارسته . أرادت له العائلة أن يشتغل بالسياسة لأن الاشتغال بها كان العمل الذى توارثته العائلة دون انقطاع منذ القرن السادس عشر . واعتبرت العائلة أن فى الخروج على تقاليدها خيانة للأمانة

التى وضعتها فى عنق سليلها . وبذلت الأسرة من ألوان الضغط على راسل الكثير ، ولوحت له فى إغراء أنه سيجد الطريق إلى السياسة ممهدا ، ومفروشا بالورود ، وبالفعل عرض عليه اللورد دفرين Dufferin وظيفة بالسفارة الإنجليزية فى باريس كما عرض عليه جون مُورلى John Morley الوزير لأيرلندا وظيفة أخرى . وكاد برتراند راسل أن يلين أمام الضغط والترغيب ويقبل العمل بالسلك السياسى (الذى التحق به بالفعل لفترة وجيزة لا تتجاوز بضعة شهور). ولكن أغراء الفلسفة كان قويا جارفاً فلم يستطع مقاومته ، رغم ما كان يتضمنه هذا الإغراء من إغضاب للعائلة . وفى عام ١٨٩٥ عين راسل زميلا بجامعة كامبردج لتدريس الرياضة بها .

## راسل يبيع كتب الرياضة ويتجه شطر الفلسفة

بمجرد أن تخرج برتراند راسل من الجامعة غمره شعور بالاشمئزاز من الأسلوب المتبع فى امتحانات الرياضة فيها لدرجة أنه اقتنع بأن علم الرياضة لا يعدو أن يكون ضربا من الأحاجى والألغاز يتطلب التفوق فيه مهارة فى التملص والمراوغة . وأقسم راسل بينه وبين نفسه ألا يفتح كتابا فى الرياضة بعد ذلك . وقام ببيع كل كتب الرياضيات التى فى

حوزته . وبدأ يتجه باهتماماته شطر الفلسفة فقد أحس أن دراسة الرياضة قد خذلت أحلام يفاعته .

كان الأمل يداعب برتراند راسل فى يفاعته فى أن تصل به الرياضة إلى التدليل القاطع على الأمور وإذا بأسلوب الامتحانات الجامعية يخيب أمله ، ويدله على أنها تتلخص فى مجرد المهارة والحذق فى التخلص من المآزق عن طريق التحايل والمراوغة . إن السبب الذى حداه إلى دراسة الرياضة فى صباه هو اللذة التى كان يشعر بها فى البرهنة على الاشياء وحبه الذى يجرى فى عروقه للاستدلال العقلى . وكانت ملكة التدليل هذه متأصلة فيه منذ صباه . فعندما كان فى الحادية عشرة من عمره توجه إلى أخيه الذى يكبره بسبع سنوات ليتلقى على يديه أول درس فى الرياضة . كانت هندسة أقليدس هى المتبعة حينذاك . وبدأ أخوه الأكبر بالتعريفات وسرعان ما استوعبها عقله . ولما جاء دور البديهيات أفهمه أخوه أنه يتعين عليه أن يقبلها على أنها مسلمات لا تقبل الجدل ولا تخضع للبرهنة والإثبات ، فاستاء راسل الصبى وأظهر نوعا من الغضب وقال مخاطبا أخاه : «ولكن لماذا ينبغى على أن أعترف بهذه الاشياء إذا لم يكن من المستطاع اثباتها ؟» فأجابه أخوه : «إذا لم تعترف بها

فلن يمكننا الاستمرار فى الدرس» . ولم يحمل الصبى على الإذعان سوى حرصه على أن يعرف «بقية الحكاية» على حد تعبيره ، وخشيته من أن يمتنع أخوه عن الاستمرار فى الشرح . وهكذا اضطر راسل رغم شكه وحيرته إلى قبول البديهيات على أنها مسلمات لا تقبل الاثبات أو البرهان.

ومما يدلنا على تأصل الرغبة فى إيجاد أسانيد للبرهنة على الأشياء فى تكوين برتراند راسل العقلى ، أكثر من رغبته فى أى شىء آخر ، أنه لم يغضب أو يدركه الاستياء عندما قال له صديقه البروفيسور ج . هـ . هاردى ، أستاذ الرياضة النظرية ذات يوم أنه لو توفر له الدليل على أن صديقه الحميم برتراند سيموت فى غضون خمس دقائق لما تردد فى الترحيب بموته للتدليل على صحة ما يذهب إليه رغم الألم الذى سيسببه له فقدان صديق عزيز . هذه الحادثة التى لم تغضب راسل مطلقا تدلنا بجلاء على أنه يقيم وزنا للمعرفة اليقينية القائمة على التدليل أكثر من اهتمامه بأى شىء آخر على سطح الأرض .

وعندما فشلت طرق تدريس الرياضة وأساليب امتحاناتها فى الجامعة فى إرضاء هذه الاستعدادات الأصيلة فيه ، اتجه برتراند راسل شطر الفلسفة يبغى منها ما كان يرجوه من

دراسة الرياضة ، ويقول راسل أن السبب الذى يدعو الإنسان إلى دراسة الفلسفة يتخذ أشكالا عديدة . ومن أهم الأسباب التى تدفع المرء إلى هذه الدراسة رغبته فى فهم العالم . لقد كان هذا الدافع قويا فى الماضى عندما كان العلم والفلسفة يجتمعان فى صعيد واحد . كانت رغبة الإنسان فى فهم العالم قوية وذلك قبل أن ينسلخ العلم عن الفلسفة ويصبح له كيان مستقل قائم بذاته . ويرى الفيلسوف أن هناك سببا آخر يدعو إلى دراسة الفلسفة يتلخص فى الشك فى الحواس وفى المعرفة القائمة عليها . فعندما بدأ الشك يساور الإغريق فى حقيقة وجود الآلهة على جبل الأولب التجأ بعضهم إلى الفلسفة يحدوهم الأمل فى إيجاد ما يعوضهم فيها عن المعتقدات التقليدية التى لم يعودوا يؤمنون بها . ويقول راسل إن رغبته فى التوصل إلى معرفة يقينية تقيم سياجا يحميه من الشك كانت حافزا هاما دفعه إلى دراسة الفلسفة . ففى صدر شبابه وهو بين الخامسة عشرة والثامنة عشرة من عمره عكف على دراسة المسلمات العقائدية الأساسية التى يتضمنها الدين بقصد الوصول إلى جوهريات دينية يمكنه الاستمساك بها . ولكن عقله أبى أن يقتنع بأى منها . ودعاه فشله فى استخلاص جوهريات دينية يمكنه الإيمان بها إلى

الالتجاء إلى الفلسفة علّه يجد فيها معتقدات تحل محل المعتقدات الدينية التقليدية التى نبذها . ولكن الفلسفة فشلت بدورها فى تعويضه عما افتقده من هذه المعتقدات . وبمعنى آخر فشل راسل فى أن يجد فى الفلسفة ما يرضى نزعاته الدينية . والآن بعد أن اكتملت فلسفة راسل التى تعتمد على العقل وتمجد التشكك فيما لا يستطيع عقل الإنسان إثباته أو البرهنة عليه ، نجد أنها لا تزعم لنفسها القدرة على اراحة الإنسان مثلما تريحه المعتقدات التقليدية . ولكن العزاء الوحيد الذى تقدمه فلسفة راسل للإنسان هو حرصها الشديد على الأمانة الفكرية مهما كلفت من ثمن ، والإيمان بأن التشكك والقلق الفكرى الذى يجيء فى أعقابه كنتيجة لإنعدام المعرفة اليقينية ينطويان على شجاعة أدبية وفضيلة أخلاقية .

مر برتراند راسل بمراحل تطور فكرية واضحة حددت اتجاهاته الفلسفية فقد بدأ باعجابه بفلسفة الفيلسوف الألمانى «كانط» ولكنه هجرها عندما أسقطته كما يقول فى وهدة من الطلاسم الميتافيزيقية المحيرة . وعاف عقله ، الشديد الحرص على الوضوح ، ما انحدر إليه بسبب فلسفة «كانط» من غموض . وليس هناك أدل على كراهيته للغموض مما كتبه عن نفسه قائلا «إننى أحب التحديد ، وأحب الخطوط الواضحة

وأمقت الغموض المستغلق» .

وبعد أن تخلص راسل من أثر «كانط» عليه ، وقع تحت تأثير الفلسفة الهيجيلية فقد أرشده صديقه الحميم ماك تاجارت Mc Taggart رائدِ الهيجيلية فى إنجلترا إلى هذه الفلسفة . واجتذبت الهيجيلية برتراند راسل إليها لما عرفه عنها من أنها فلسفة ترضى الرغبة فى الإيمان عن طريق الاستمساك بجوهريات الدين فى إطار عقلى شديد التعقيد ، لا تحده الحدود التقليدية الضيقة ، فهذه الفلسفة تنتهى إلى «المطلق» وهو اسم آخر لله ، كما أنها تصور الكون على أنه وحدة واحدة لا سبيل إلى الفصل بين أجزائها . ومما زاد فى تشبث رسل بالهيجلية فى وقت من الأوقات هو ارتياحه للاعتقاد ، وبأنه المادة وهم بأنه لا وجود للزمان والمكان وبأنه ليس هناك لغير العقل وجود . ويقول راسل إن أثر هيجل عليه استمر لمدى طويل حتى بدأ يقرأ هيجل فى نصوصه الأصلية فروعه وخيب ظنه أن يصطدم بحزمه من الافكار المضطربة المهوشة التى بدت له مجرد تلاعب بالالفاظ .

وبعد أن هجر برتراند راسل فلسفة هيجل ، استأثر به لبعض الوقت نوع من التصوف الرياضى استمده من أفلاطون الذى استمده بدوره من فيثاغورث . وبعد أن أجرى

رسل على الافلاطونية بعض التغييرات التى خففتها ولطفت من حدتها ، آمن راسل كما تؤمن الافلاطونية بأن هناك عالما من المثل كاملا سرمديا لا يعرف التغير ، عالما تعطينا الحواس عنه صورة ناقصة شائهة تنأى عن الكمال ، وبأن الرياضة التى تعالج عالم الافكار تتصف بالكمال والدقة اللذين يخلو منهما عالم الحس المتغير الذى نخبره فى حياتنا اليومية . ولكن الأمر انتهى ببرتراند راسل إلى نبذ هذا التصوف الرياضى . ومنذ ذلك الحين وراسل لا يجد رأيا دينيا فى أى مذهب فلسفي يستطيع أن يقتنع به .

## برتراند راسل الخنزير الشيوعى

بدا برتراند راسل حياته الفكرية مؤمنا بالاستعمار ، مؤيدا له وكان فى تحيزه للاستعمار متأثرا بسيدنى ويب Sidney Webb . ولكن نوعا مما يطلق عليه المسيحيون «الاهتداء إلى الدين الحق» انتابه فى عام ١٩٠١ على وجه التحديد تخلى الفيلسوف على إثره عن كل نزعاته الاستعمارية ونبذها نبذا تاما .

وفى عام ١٩١٨ ، عكف برتراند راسل على كتابة «الطرق إلى الحرية» إبان الحرب العالمية الأولى وفرغ من كتابته قبل أن تزج به السلطات الإنجليزية فى السجن لدعوته إلى السلام

وإنهـاء الحـرب بأى ثمن . وفـى هذا الكتـاب دافع راسـل عن الاشتراكية ، واعتبر أن اشتراكية الدولة كما وضعها ماركس، والفـوضـوية كـمـا بشـر بهـا باكـونين وكـروبوتكين ومـذهب الاشـتـراكـيـة النقـابيـة المتطرفـة (Syndicalism) كـمـا كـان سائدا في فرنسا ، تكون جميعا دعائم الحرية وترسى أسس المجـتـمع الجـديد الذى كـان راسل يرغب فـى انشـائه على انقـاض العـالم القـديم الذى قـوضت أركانه الحـرب العـالمية الأولى - ولا شك أن رسل تعـمـد اخـتـيـار اسم «الطرق إلى الحـريـة» لكتـابة بدلا من «الطريق إلى الحـرية» حـتى يبين أن هذه المذاهب جميعا - وان كانت قاصرة إذا أخذنا كلا منها على حدة - تساهم في وضع أسس العالم الأمثل الذى تطمع الإنسانية فى إقامته . وفى هذا الكتاب نجد راسل متحمسا للشيوعية الفوضوية بعض الشىء . والسبب فى عطفه على الفـوضـوية هو حـرصـه الشـديد على استكمـال حـرية الفـرد واستقلاله وتخوفه من البيروقراطية المتمثلة فى اشتراكية الدولة عند ماركس .

ولكـن فى عــام ١٩٢٠ زار برتراند راسل الاتحـــاد السوفييتى لمدة قصيرة ، وتعمد أن يختلط بأكبر قطاع ممكن من الناس حتى يتعرف على التجربة الشيوعية الوليدة . وقابل

راسل لينين ومكث معه ساعة . واغتم الفيلسوف لما رآه من مظاهر القسوة والبطش فى روسيا الشيوعية ، ومن غلظة قلب زعيمها لينين . وتركت هذه الزيارة القصيرة فى نفسه أسوأ الأثر . لم يرق لينين فى عين برتراند راسل رغم اعترافه الصريح بتفانى الزعيم الروسى الذى لا يرقى إليه الشك فى المبدأ الشيوعى وفى رغبته فى الإصلاح . فقد كان لينين يروى لزائره مستضحكا كيف أنه كان قبل اندلاع الثورة الحمراء يحرض الفلاحين على الإجهاز على أصحاب الأراضى والاقطاعيين وشنقهم على أقرب شجرة . كان لينين يروى هذه الحادثة مقهقها ، كما كان يظهر لذة فى استرجاع هذه الذكريات ، ويبدى تسلية وتشفيا ينمان عن خلوه من العواطف الإنسانية ويجعلان بدن الإنسان يقشعر . ساء راسل أن يجد أن الكراهية هى القوة الدافعة للينين ورفاقه من الشيوعيين ، ولم ير فى زعيم الشيوعية السوفيتية إلا تعصبا أعمى . ويقول الفيلسوف فى هذا المجال أنه استيقن من أن الشيوعيين الذين استولوا على الحكم فى روسيا عام ١٩١٧ تحركهم عاطفة واحدة جارفة مستبدة هى الحقد فأظهر اشمئزازه من أن يكون الحقد أساسا لأى اصلاح اجتماعى . كان لينين ورفاقه قبل الثورة يصبون حقدهم على

أعدائهم من الاقطاعيين والبورجوازيين وعلى كل ما يعترض سبيل الثورة الشيوعية ، فلما تحقق للحاقدين الاستيلاء على زمام الحكم ، وتصفية بواعث حقدهم القديم ، كان طبيعيا أن يبحثوا عن أشياء أخرى جديدة يصبون عليها حقدهم الأسود الذى أصبح جزءاً لا يتجزأ من تركيب جهازهم النفسى .

وهكذا خرج برتراند راسل من روسيا الشيوعية ساخطا كل السخط وشرع يهاجم الشيوعية السوفيتية . واستاء اليساريون فى الغرب من هجومه على التجربة الشيوعية الجديدة التي يعطفون عليها ، ونظروا إليه شزرا واعتبروه أجيرا للبورجوازية . واستمر اليساريون الغربيون يناصبونه العداء إلى وقت قريب حتى استيقنوا أن الاتحاد السوفييتى لا يقيم المجتمع الذى يحلمون باقامته . أما اليمينيون فلم يلتفتوا إلى تغير موقفه من الشيوعية وظلوا يذكرون عطفه القديم عليها . وأطلقوا عليه اسم «الخنزير الشيوعى» . وبذلك أصبح راسل موضعا للاتهام والكراهية من كل جانب . ولم ينقذه من هذا الموقف العصيب سوى زيارة إلى الصين امتدت نحو عام استمتع بها الفيلسوف استمتاعا عظيما فقد راقت له حضارة الصين التالدة واستهوته النزعة العقلية التى تسود هذه الحضارة ، ويدين برتراند راسل بالفضل إلى هذه الزيارة

التى علمته أن ينظر إلى الحاضر الإنسانى فى ضوء الأحقاب التاريخية السحيقة . وساعده هذا الإحساس بالأبعاد الزمنية الشاسعة أن يتخلص من النظرة.الضيقة التى تحبس الإنسان فى سجن الحاضر بضغائنه واحقاده الصغرة وآماله المحدودة .

# الفصل الأول:
# برتراند راسل أمام المحاكم الإنجليزية

«إني أريد أن أقف على حافة العالم»، وأحدق في الظلام الجاثم وراءه. وأرى شيئًا قليلا يزيد عما شاهده الآخرون، كما أرى أشكال الغموض الغريبة التي تقبع في ذلك الظلام المجهول وأني أريد أن أعيد إلى عالم البشر شيئًا قليلا من الحكمة الجديدة. فهناك قدر ضئيل من الحكمة في العالم يتمثل في هرقليطس وسبينوزا وفي بعض الحكم المتناثرة. وإني أريد أن أضيف إلى هذه الحكمة، حتى لو كانت إضافتي ضئيلة إلى أبعد الحدود» .

**(في خطاب كتبه برتراند راسل من سجن «بركستون» عام ١٩١٨)**

# قصة برتراند راسل مع الحرب والسلام
# الملحد الذى يسمع صوت الله

يقول برتراند راسل فى معرض الحديث عن موقفه من الحرب والسلام إن حياته تنقسم بشكل واضح إلى فترتين متباينتين : فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى، وفترة ما بعد هذه الحرب، كما يقول إن حرب ١٩١٤ قد جعلته ينفض عن نفسه غبار الكثير من التحيزات والمعتقدات التى كان يدين بها، وأن يبدأ التفكير من جديد فى عديد من المسائل الأساسية .

ومنذ عام ١٩٠٢ وراسل يلاحظ كل الشواهد الدالة على تجمع سحب الحرب وزيادة أخطارها. وكان هذا الاتجاه نحو الحرب يؤلمه ويبعث فيه اليأس والقنوط. فلا غرو إذا رأيناه يعارض تيار الحرب بكل جوارحه. وقف راسل فى وجه الحرب العالمية الأولى لإنه كان يعتبرها بمثابة نهاية عهد، وبداية عهد يؤذن حتما بانخفاض المستوى الحضارى العام. ولم يكن راسل يعتبر أن إيجاد وسيلة لتعايش انجلترا مع ألمانيا القيصرية أمر مستحيل. ولهذا دافع راسل عن فكرة حياد إنجلترا.

ونحن نرى أن برتراند راسل حتى يومنا هذا لايتزحزح قيد أنملة عن الاعتقاد بسلامة نظرته فى الحرب الأولى، فهو

يذكر فى هذا الصدد أن أحداث التاريخ التى تلت الحرب الأولى قد جعلته يتأكد من صحة رأيه وسلامة موقفه .

كان راسل قبيل اندلاع لهب الحرب العالمية الأولى فى كامبريدج يناقش الموقف مع كل إنسان يجده فى طريقه. كان ذلك فى أثناء الأيام الأخيرة اللافحة الحر من شهر يوليو على وجه التحديد. واستطاع راسل أن يجمع توقيعات عدد كبير من أساتذة الجامعة والزملاء فيها على بيان يدافع عن حياد إنجلترا، ونشر هذا البيان فى جريدة المانشستر جارديان. ولكن بمجرد أن أعلنت الحرب بالفعل واشتركت إنجلترا فيها، تخلى معظم الموقعين على البيان عن موقفهم المدافع عن السلام، وشرعوا يؤيدون الحكومة الإنجليزية فى كل تصرفاتها.

وفى أمسية ٤ أغسطس من عام ١٩١٤ أخذ برتراند راسل يتجول فى لندن وخاصة على مقربة من ميدان الطرف الأغر ليراقب الجماهير الهاتفة بالحرب المتحمسة لها، وكان هدفه من هذا التجوال هو الوقوف على حقيقة مشاعر الناس العاديين نحو الحرب وتبيان موقف السابلة منها. ويعترف راسل بأن خبراته فى هذا الصدد قد غيرت الكثير من معتقداته الخاطئة فيما يتعلق بالطبيعة البشرية. ففى خلال هذه الأيام من ثنايا تجواله في الطرقات أكتشف راسل

لدهشته ابتهاج الناس العاديين بتوقع الحرب، ومتعتهم في نشوبها فهي تبدد الملل المخيم على حياتهم. كان راسل فيما مضى يؤمن في سذاجة كما يؤمن سائر المدافعين عن السلام- بأن الحرب شيء كريه تفرضه الحكومات الباغية المستبدة الميكيافيلية على شعوبها غير الراضية عنوة وقسرا. ولكنه رأى بنفسه مقدار ابتهاج الرجال والنساء العاديين بمقدمها. (لاحظ أن برتراند راسل يدأب على ترديد هذه الفكرة في كتاباته فهو يرى أن في طبيعة الإنسان نزعة إلى العدوان تجد متنفسا لها في الحروب، كما أنه يرى في هذه النزعة عقبة تعترض طريق إنشاء عالم موحد يسوده السلام. ولكن راسل لايبدى يأسه من التغلب على هذه النزعة المدمرة ويؤمن بإمكان التسامي بهذه الطبيعة العدوانية وذلك بتوفير فرص المغامرة البناءة والمخاطرة السلمية (كالاستكشاف وإرتياد الفضاء مثلا لمن يتوق إليها من الشباب).

لم يكن من السهل على برتراند راسل أن يتخذ موقفه الداعي إلى السلام وإلى إنهاء الحرب العالمية الأولى بأي ثمن. فقد اعتبر الإنجليز أن موقفه خسيس وينطوى على خذلان لهم كما يتضمن نصرة لألمانيا القيصرية عدوتهم.. ورماه بنو جلدته بالخيانة واتهموه بأنه عميل ألماني. ويقول راسل أن موقفه الداعي إلى السلام وضعه في مركز حرج لا من ناحية

العداء العام الذى واجهه، أو انفضاض معظم الأصدقاء عنه فحسب. بل من ناحية شعوره الوطنى الخاص. فحب إنجلترا على حد قوله يكاد يكون أقوى عاطفة فيه، ولم يكن من اليسير عليه أن يتخلى عن هذه العاطفة . لقد كان من عادة برتراند راسل أن يساوره الشك فيما يصل إليه من آراء ولايقطع بتصديق أى منها فيشله هذا الشك عن التصرف حينا . وهو حينا آخر ينظر إلى المواقف الحرجة المستعصية نظرة استخفاف وعدم مبالاة .. ولكن عندما نشبت الحرب العالمية الأولى، لم يداخله شك قط فى الموقف الذى يتعين عليه اتخاذه. فقد شعر أن عليه أن يقف فى وجه هذه الحرب مهما كلفه هذا من ثمن. لقد أصابته دعايات سائر الدول المشتركة فى الحرب بالغثيان لما تضمنته من أكاذيب قومية سافرة كانت تسئ إساءة بالغة إلى حبه للحقيقة، كما ساءه كإنسان يحب الحضارة أن يرى صرحها ينهار أمام جحافل البربرية والظلام أضف إلى ذلك أن المجازر البشرية البشعة هالته وجعلت قلبه – وهو أب يحنو على أبناه – ينفطر على ضياع الشاب وهلاك الأبرياء فى أتون الحرب المتقد. ويقول راسل فى هذا المجال إن شيئا واحدا دفعه إلى المقاومة والاستمرار فى الجهر برأيه رغم كل مظاهر العداء، وإلى الاحتجاج على الحرب رغم إدراكه التام بعدم جدوى مثل هذا الاحتجاج: هذا

الشيء كان سيطلق عليه «صوت الله» لو كان متدينا. وألح عليه هذا الصوت المنبعث من دخيلة ضميره إلحاحا شديدا جعله يضحى بحبه لوطنه وأصدقائه كما جعله يتقبل اضطهاد الناس له فى جلد وصبر وتماسك منقطع النظير.. وهذا الشعور الجارف الهاتف من الأعماق ليس بالغريب على رواد الإنسانية فقد خبره سقراط كما خبرته جان دارك من قبل. ونحن نعرف جميعا إن سقراط وجان دارك كانا شديدى التدين. ولكن الغريب فى الأمر أن تجاربهم فى أيام الطفولة، ونظام التعليم والصراع الاقتصادى والنجاح والفشل الذى يصيبه الإنسان فى حياته وعلاقاته الخاصة والإنسان الذى يشعر بأن حياته لم تضع عبثا أو تبوء بالفشل هو الذى يستطيع أن يحمل نحو بقية أفراد العائلة الإنسانية شعور الشفقة والحنو والطمأنينة والرغبة فى التعاون والمساعدة. ويقول راسل فى هذا الصدد : «منذ تلك الأيام الأولى من شهر أغسطس ١٩١٤ حتى يومنا هذا اقتنعت اقتناعا راسخا بأن الإصلاحات الأساسية فيما يتعلق بالشئون الإنسانية هى تلك التى تزيد من الشعور الطيب، وتقلل من الضراوة نحو الآخرين» .

## راسل الخنزير الشيوعى

بسبب دفاعه عن الاشتراكية أطلق البريطانيون على برتراند راسل لقب «الخنزير الشيوعى» وفى عام ١٩٢٠ زار راسل الاتحاد السوفيتى لمدة قصيرة وتعمد الاختلاط بأكبر قطاع ممكن من الناس حتى يتعرف على التجربة الشيوعية الوليدة وقابل راسل لينين ومكث معه لمدة ساعة واغتم الفليسوف لما رآه من مظاهر القسوة والبطش فى روسيا الشيوعية، ومن غلظة قلب زعيمها لينين وتركت هذه الزيارة القصيرة فى نفسه أسوأ الأثر .

عندما نشبت الحرب العالمية الأولى كان راسل يعمل عضوا فى هيئة تدريس الرياضيات فى كلية ترينيتى بجامعة كامبريدج، وكانت نكته الذكية تضايق زملاءه من أنصار الحرب العالمية الأولى فى هذه الكلية. وعندما كان راسل يتناول طعامه فى مطعم الكلية لاحظ أن بعض زملائه يتحاشون الجلوس معه على نفس المائدة غير أن المدرسين الشباب فى ترينيتى آمنوا بحق راسل فى التعبير عما يريد. وبالنظر إلى أنهم التحقوا بصفوف الجيش فإنهم لم يتمكنوا من التعبير عن وجهة نظرهم إلا بعد تسريحهم من الجيش. وحدث أن استدعى الجيش للتجنيد واحدا من معترضى الضمير اسمه إرنست إيفرست حكم عليه بسنتين من

الأشغال الشاقة لعصيانه الأوامر، وأصدرت إحدى المنظمات المناهضة للتجنيد منشوراً يحتج فيه على هذا الحكم . وألقت السلطات البريطانية القبض على ستة رجال لتوزيعهم هذا المنشور. ولهذا كتب راسل خطابا لجريدة التايمز يقول فيه :

«أحب أن يعرف الناس أننى كتبت هذا المنشور. وإذا كان هناك من يستحق أن يقدم إلى المحاكمة فإنى المسئول الأول».

حوكم راسل أمام اللورد مايور (العمدة) فى مانشيون هاوس فى ١٥ يونيو عام ١٩١٦ بتهمة التصريح «بأقوال من المحتمل أن تسئ إلى التجنيد والنظام فى قوات صاحب الجلالة المسلحة» . وقال راسل مدافعا عن نفسه إن الغرض من المنشور هو توضيح أن من يخرج عن النظام يتعرض للسجن لمدة سنتين مع الأشغال الشاقة. فهل هذا يشجع الناس على مقاومة النظام؟ وكان منطقه الحاد مدمراً لكل من يعترض سبيله لدرجة أن الحكومة صادرت تقريرا نشرته منظمة مناهضة التجنيد يتضمن نص الخطاب الذى ألقاه كما يتضمن هذا التقرير إجراءات المحاكمة ضده. ولكن المحكمة أدانت راسل وحكمت عليه بغرامة قدرها مائة جنيه .

وبناء عليه قرر مجلس كلية ترينيتى بالإجماع فى ١١ يوليو ١٩١٦ طرد راسل من وظيفة التدريس فيها. وأكد طرده من الكلية إلى الحد الذى جعل راسل يقطع علاقته بها تماما. ولا

غرو أن يذكر راسل بعد ذلك بسنوات «أن كل الزمـلاء فى ترينيتى كانوا يكرهوننى».

فى عام ١٩١٦ ذاعت شهرة راسل فى أرجاء العالم. ولكن طرده من كلية ترينيتى دفعه إلى البحث عن عمل. ووجه الأمريكان الدعوة إليه لإلقاء المحاضرات فى جامعة هارفارد. ولكن وزارة الخارجية الأمريكية رفضت منحه تأشيرة دخول إلى أمريكا. ولهذا قرر الالتجاء إلى احتراف إلقاء المحاضرات العامة فى بريطانيا ولكنه بعد أن أعد برنامجا عن مبادئ الفلسفة السياسية اصطدم بأوامر بالغة الغباوة أصدرتها وزارة الحربية التى أبلغته أنه يستطيع أن يحاضر فى المدن الداخلية مثل مانشستر ولكنه لايمكن أن يحاضر فى المناطق المحظورة التى ضمت المدن الساحلية بشكل خاص. ومن الناحية النظرية كان الدافع وراء هذا الحظر أنه هو أو مستمعيه قد يتشجعون على إرسال إشارات لاسلكية للزوارق الحربية الألمانية، واستاء تشارلس تريفيليان من هذا الحظر فقدم استجوابا إلى رئيس الوزراء لويد جورج فى هذا الشأن، وأجاب لويد على ذلك بأن أحاديث رسل تتدخل دون شك في مواصلة الحرب، ولدينا معلومات من مصادر وثيقة أن المستر برتراند رسل على وشك القيام بإلقاء سلسلة من المحاضرات من شأنها أن تتدخل بصورة خطيرة فى تعبئته جنود الجيش البريطانى .

ورد راسل على الاتهام بقوله متهكما : «إننى أمل أن تكون المخابرات أكثر دقة فى معلوماتها عن الألمان عما كانت بالنسبة للمعلومات التى تتعلق بشخصى». ثم تساءل عن السبب فى السماح له بإلقاء المحاضرات فى مدينة مهمة مثل مانشستر إذا كانت محاضراته خطرة بالفعل .

ومن السهل حقا أن نفهم كيف كانت الحكومة تبدو وكأنها فقدت صوابها بالنسبة لرسل : فقد كانت تخشى بصفة خاصة أن تسبب أحاديثه الاضرابات بين عمال الذخيرة، إذ إنه كان الرجل الوحيد فى حركة أنصار السلام الذى يحظى اسمه بالمهابة والتقدير، كما أن تخطيه سن التجنيد كان دليلا على موضوعية الموقف الذى اتخذه. ونظرا لأن معترضى الضمير كانوا يخشون أن يقوم البوليس بقمع «منظمة مناهضى التجنيد» فقد كان لديهم تنظيم سرى كامل آخر له نظام محكم للأسماء الحركية، وحدث ذات مرة أن أحد أعضاء هذا التنظيم ترك حقيبة صغيرة تحتوى على خططهم السرية فى تاكسى، وسلمت الحقيبة إلى قسم البوليس، وعندما أعلن هذا الخبر فى اجتماع اللجنة قال راسل : «اقترح أن نرجىء الاجتماع ونتوجه إلى سكوتلاند يارد وبذلك نوفر على البوليس مشقة القبض علينا» . ولكن هذه الحقيبة التى تحتوى على الأوراق أعيدت سالمة إليهم إذ كان لأحد أعضاء اللجنة أخ من كبار الموظفين فى جهاز الشرطة .

## استعداء الحكومة

كان السبب الذى أفضى براسل فى نهاية الأمر إلى السجن هو مقال نشرته «ذى تريبيونال» وهى الجريدة الأسبوعية التى كانت منظمة مناهضى التجنيد تصدرها، وكتب راسل فى هذا المقال يقول : «ما لم يتم التوصل إلى إقرار السلام سريعا، فإن الجوع سوف يصيب أوروبا كلها، وسيقاتل الناس بعضهم بعضا للحصول على أبسط ضروريات الحياة. وأضاف قائلا : إن الجيش الأمريكى سوف يحتل كلا من إنجلترا وفرنسا سواء أثبتا كفاءتهما ضد الألمان أم لا، والحقيقة أن هذا الهجوم على الجيش الأمريكى لم يكن عنيفا أو ضاريا. غير أن هجوم راسل على الحكومة البريطانية كان موجعا فهو يسخر من رجال هذه الحكومة بقوله : «كل الدلائل تشير إلى خلو عقولهم من أية أفكار وأنهم يعيشون دون إنتهاج سياسة ثابتة مستقرة مدخلين العزاء إلى أنفسهم بالجهل والثرثرة العاطفية الرخيصة». والحقيقة أن الحكومة البريطانية اغتاظت من ضراوة هجوم راسل عليها أكثر من استيائها من هجومه على الأمريكان، ولكن هجومه على الأمريكان كان العذر الذى تعللت به هذه الحكومة لاتخاذ إجراء من شأنه أن تنفس به عن ضيقها منه.

ظهر المقال في ٣ يناير ١٩١٨ وبعد ذلك بشهر تقريبا زار مخبران راسل ذات صباح ووجداه في الحمام وسألاه إذا كان كاتب المقال فأكد لهما ذلك .

وقدم راسل للمحاكمة أمام محكمة بوستريت حيث غصت المحكمة بجمع من أصدقائه المرموقين، وقرأ ممثل الادعاء فقرات من مقال راسل المنشور في «ذي تريبيونال» ولكنه لم يحدث التأثير الذي كان يرجوه، ووصل ممثل الادعاء إلى الفقرة التي تقول : «ولست أقول إن هذه الأفكار تشغل بال رجال الحكومة البريطانية فكل الدلائل تشير إلى خلو عقولهم من أية أفكار» وهنا ضج الحاضرون من أصدقاء راسل بالضحك، وقطب المدعي جبينه بشدة. قرأ الفقرة للمرأة الثانية بصوت أكثر استهجانا فضجت قاعة المحكمة بالضحك مرة أخرى ولكن هذا الضحك المدوي في قاعة المحكمة لم يستطيع أن ينقذ راسل، فقد حكم عليه القاضي السيرجون ديكنسون بالسجن ستة أشهر من حبسه بالدرجة الثانية .

وعلق ديكنسون على موقف راسل وهو ينطق بالحكم قائلا: «يبدو أن مستر راسل فقد كل إحساس بالتهذيب والحكم الصائب، وتمادى إلى الحد الذي أهان فيه عمدا ومع سبق الاصرار جيش أمة حليفة لنا، والإساءة التي ارتكبها تدعو إلى الاحتقار الشديد».

وعلق راسل على كلام ديكنسون فى خطاب كتبه في اليوم التالي بقوله : «لقد كان القاضى قاسيا عنيفا بدرجة لايمكن تصديقها، ولم يحدث أبدا أننى واجهت كراهية مشبوبة مثل تلك الكراهية التى أظهرها نحوى، لقد كان يوده لو أنه استطاع أن يشنقنى ويجرنى ويقطعنى أربا» .

وهناك وصف آخر لمحاكمة راسل ورد فى خطاب كتبه الأديب ليتون ستراتشى قال فيه : «إنه لأمر مفضوح حقا كما أنه أمر شرير ويبعث على التقزز عموما منظر حشرة مثل السير ديكنسون وهويوبخ برتى «تدليع برتراند» ويتهمه باللا أخلاقية ويرسله إلى السجن، وخرجنا من قاعة المحكمة، جيمس سترتشى وأنا، وأسناننا تصطك غضبا، إن حدوث مثل هذه الفظاعات يجعل المرء يفقد الأمل «ولكن راسل نفسه قال بعد ذلك وهو يسترجع سنوات الحرب: «إننى لا أستطيع أن أشكو من الطريقة التى عاملتنى بها السلطات، وأنا من جانبى لم أبذل أى جهد على الإطلاق للمصالحة، الأمر الذى اضطرهم إلى اتخاذ إجراء ضدى» .

## زنزانة مستأجرة

واستأنف راسل ولكن المحكمة أيدت الحكم الصادر بحبسه ستة أشهر، وتم نقل رسل فى مايو ١٩١٨ فى تاكسى إلى سجن بركستون، وشعر بالأسف فيما بعد لأن البوليس

فوت عليه تجربة نقله فى عربة المساجين، وسجل فى سجن بركستون تحت رقم ٢٩١٧ وباسم راسل «ب».

وبفضل تدخل الكاتب جلبرت مرى وآخرين تم نقل راسل بناء على التماسه إلى سجن من الدرجة الأولى حيث استثمر وقته فى القراءة والكتابة، وأجبر فرانك رسل السلطات على السماح لأخيه بالحصول علي كل ما يريد، ووضعت اليزابيث زوجة أخيه فرانك في زنزانته أثاثا مريحا - مكتبا وكرسيا وسجادة فضلا عن أنه كان يتلقي دائما الكتب والزهور.

وكانت زنزانة راسل أوسع من المعتاد، وكان يدفع إيجارا أسبوعيا لها قدره شلنان وستة بنسات، وكان أول ما قام به راسل فى السجن أنه توجه إلى حاكم السجن - وهو جندى سابق محترم يدعى كابتن هاينز - وسأله بجدية ووقار عن عقوبة من يتأخر فى دفع الايجار، ذاكرا أنه إذا كانت العقوبة هى الطرد من السجن فإنه لن يدفع بنسا واحدا.

قال راسل فى معرض الحديث عن رفاقه فى السجن «إن الحياة هنا فى السجن مثل الحياة على عابرة محيطات يخالط فيها المرء عددا من الناس العاديين ويعجز على أن يلوذ بالفرار إلا فى حجرته على ظهر السفينة ولست أرى أية علامة تدل على أنهم دون متوسط الناس العاديين فيما عدا أنه من المحتمل أنهم يفتقرون إلى قوة الإرادة - ذلك إذا كان المرء

يستطيع أن يحكم عليهم من وجوههم» وقال أحد حراس السجن لراسل بفخر واعتزاز إنه عضو فى «حزب العمال المستقل» وأن الفرع الذى يتبعه وافق على قرار يطالب بإطلاق سراح راسل .

وسمح لراسل بإضاءة نور حجرته حتى العاشرة مساء بدلا من الثامنة، وبطريقته المنظمة التى عرف بها الفيلسوف روتين حياته اليومية فى السجن خصص أربع ساعات يقضيها فى الكتابة عن الفلسفة وأربع ساعات يقضيها فى القراءة ثم أربع ساعات تالية فى قراءات عامة - يقضيها فى قراءات متنوعة من فولتير إلى تشيكوف، من تاريخ الثورة الفرنسية إلى كتب الرحلات فى الأمازون والتبت مع بعض الروايات البوليسية المثيرة أحيانا .

وكان الحرمان الوحيد الذى عانى منه راسل هو منعه من التدخين - الذى كاد أن يكون التغيير الوحيد الذى طرأ على حياته على مدى ستين سنة متصلة قضاها راسل فى التدخين، فضلا عن شوقه لرؤية أصدقائه، وكان يستعيض عن التدخين بأكل الشيكولاتة، ونظرا لأنه كان يسمح له بأن يزوره ثلاثة أصدقاء معا كل أسبوع فقد - كان ينظم زيارات أصدقائه له بدقة فى مجموعات يتكون كل منها من ثلاثة أشخاص بحيث تتفق مشاربهم ويستطيعون الاستمتاع باللقاء معا .

وكانت زيارة راسل فى السجن تجربة لا تمحى من الذاكرة بالنسبة لهؤلاء الذين توفر لهم الحظ النادر فى رؤيته، وفى إحدى المناسبات اتفق أخوه فرانك راسل مع الليدى موريل راعية الفنون والآداب وجلاديس ريندر الموظفة فى منظمة مناهضة التجنيد على الالتقاء على الكورنيش ليأخذوا الترام إلى سجن بركستون، وكانت الليدى أتولين موريل أول من لحقت بالآنسة ريندر، وجاءت أوتولين موريل وهى ترتدى فستانا رائعا من ثلاث طبقات من التافتاه الملونة ترصع الفضة أطرافه العليا وتتحلى بقلادة من اللؤلؤ من طراز مارى انطوانيت، وجاء بعدها فرانك مرتديا قبعة عالية ومعطف الفراك الطويل، وصعد ثلاثتهم إلى أعلى الترام وسط نظرات الانبهار من كل الركاب الموجودين الذين أنصتوا فيما يشبه السحر إلى فرانك وهو يتحدث بأعلى صوته عن تجاربه الشخصية عندما دخل السجن بتهمة تعدد الزوجات .

وذكر الشاعر البريطانى الكبير ت . س، اليوت أنه ذهب إلى زيارة راسل برفقة أخيه فرانك راسل وديزموند ماكارثى وجلسوا جميعا، يتحدثون تحت تكعيبة فى فناء السجن، وكأنهم فى عربة بولمان والحارس يرقبهم من مسافة محسوبة بدقة .

## مصادرة أخبار الأصدقاء

وكان راسل يستعد لهذه الزيارات بإعداد قوائم طويلة بالأشياء التى يريد أن يسأل أو يتحدث عنها، ولكنه عندما يصل أصدقاؤه فعلا فإنه كان في العادة ينسى فى غمرة انفعاله ما كان يريد أن يقول، وكتب راسل إلى جيلاديس ريندر يقول لها : «تذكرى إن ما يريده المرء هو استيفاء الأخبار عن أصدقائه، إننى أحصل على أخبار السياسة من الصحف وأستطيع أن أنتج العواطف وأطلق النكات فى مقر السجن، ولكنى أستقى أخبار الأصدقاء من الزيارات والخطابات، وردت عليه مس ريندر بخطاب ملىء للغاية بالخوض فى القيل والقال عن أناس أشارت إليهم بالحروف الأولى من أسمائهم لدرجة أن مأمور السجن صادره ظنا منه أن هذه الحروف قد تمثل شفرة معقدة .

وفى السجن ألف راسل الأعمال الفلسفية التالية «مقدمة الفلسفة الرياضية» وعرض طويل لكتاب ديوى «مقالات فى المنطق التجريبى» كما أنه أمضى وقتا فى قراءاته التمهيدية فيما يتصل بالبحث الذى انتهى به إلى وضع كتابه «تحليل العقل»، وكان مأمور السجن الكابتن هاينز يراقب أى مخطوط يرسله للخارج، وتعب هذا المأمور جدا وهو يقرأ بجهد جهيد كتابه «مقدمة الفلسفة الرياضية» وهو كتاب لاتسهل قراءته

عكس ما توحى به مقدمته، وعندما تعثر مأمور السجن فى قراءته منذ البداية قال إنه يكفيه أن يقدم راسل له تأكيدا شخصيا بأن الكتاب لايحوى أفكارا هدامة، وكان أنصار السلام من حيث المبدأ متفاهمين على أن يفعلوا دائما كل ما فى وسعهم لعرقلة الأمور أمام المسئولين، ولكن راسل قرر أن فرض الفلسفة الرياضية فرضا اجباريا على مأمور السجن يعتبر تطبيقا مبالغا فيه لهذا المبدأ، ومن ثم قدم إلى المأمور التأكيد المطلوب.

كان وضع المأمور الكابتن هاينز يثير العطف والرثاء فهو لايعرف كيف يتعامل مع ضيفه غير العادى، وذات مرة أرسل ديزموند مكارثى إلى المأمور يقول إن راسل يرغب فى عصفور كناريا فى قفص، واستدعى المأمور راسل وسأله إذا كان الأمر كذلك، فأجابه راسل بقوله : «لا إن ما أريده هو قردا من نوع الأورانج تانج «لأنه كما أوضح فى خطابه الساخر الهازل لجلاديس كان يأمل أن يلقى هذا القرد ضوءا على العقل البشرى فى أصله وكما يتمثل فى مجلس الوزراء»، وكلما شاهد راسل مأمور السجن تعمد أن يطلق النكات، محاولا أن يجعله يضحك كي يتسلى بمنظر المأمور وهو يغالب نفسه للمحافظة على صرامة وجهه .

## الرهبنة هى الحل

ويبدو أن سجن بركتسون ترك فى نفسه أثرا عميقا على الرغم من كل ما أظهره من مرح واستخفاف تماما مثلما أحس بالألم الممض عندما طردته كلية ترينيتى من عمله . وفى الأيام الأولى كتب راسل يقول : «تمضى الأيام رتيبة ولكنها كانت مقبولة إلى حد ما، وأعتقد أننى أخطأت الهدف عندما لم أتحول إلى راهب يتبع أحد أنظمة الرهبنة التى تستغرق فى التأمل»، ولكن شيئا من شعوره الحقيقى تكشف فى أحد خطاباته التى هربها خارج السجن قال فيه «آه، أليس رائعا أن تتمكن من المشى عبر الحقول وأن تشاهد الأفق وتتحدث بحرية وأن تنعم بصحبة الأصدقاء، أننى أكره أن أكون مرتبا نظيفا مثل كتاب فى مكتبة لايرتادها للقراءة أحد، إن السجن شىء شبيه بهذه الفظاعة، تصور أن كتاباً لذيذاً اشتراه مليونير ووضعه مجلدا مع كتب كثيرة غير مجلدة بنفس الطريقة وأغلق عليه فى رف دون لوح زجاج حيث يصبح مجرد صورة لكمال النظام دون السماح لأى فوضوى بالإطلاع عليه، هذا ما أحس به، ولكن الآن سرعان ما سوف يتمكن أحد من الاصرار على قراءاته».

وبعد إطلاق سراح راسل فى سبتمبر ١٩١٧ كتب راسل إلى كلينورد آلن قائلا: «لقد خرجت من السجن بحساسية

غـريبـة مـفـرطة جـعلتني أظن أن كل واحـد يكرهني» ولكنه أضـاف أن هذا الشـعور يزيله بسـرعة وأنه سـوف يصـبح فى القريب العاجل شـخصـا عاديا قويا»، ثم يستطرد قـائلا: «ما جدوى حبس الجسد مادام العقل طليقا، لقد عشت وأنا هنا بين جـدران السـجن خـارج حـيـاتـى الخـاصــة فـى البـرازيل والصين والتبت والثورة الفرنسية، وفـى هذه المغامرات نسيت السـجن الذى يـحـبس فـيـه العـالم نفـسـه فى هـذه اللحظة أحسست أننى حر وسيكون العالم حرا كذلك ».

فى عـام ١٩٩٨ نشـرت وزارة الثـقـافـة فى مـصـر ترجـمـة لكتـاب ألفـه المؤلف الاسـترالى آلان وود بعنوان «سيـرة حيـاة برتراند راسل، ولعله من المفيد فى هذا الصـدد أن أعيد نشـر بعض صـفـحـاته التى تتعلق بمحاكمة فيلسـوفنا الكبير فى كل من انجلتـرا وأمـريكا . وفـيـمـا يلى ترجـمـة لما ورد فى هذا الكتاب بعنوان سجين بركستون».

## الفيلسوف الكبير يتعرض لضرب يكاد يفضى إلى الموت

كـانت تجربة الحرب العالمية الأولى مـريرة، مروعة بالنسبة لبرتراند راسل لدرجـة أنه أصبح لفتـرة من حـياته يكابد رؤية مـزعـجـة يرى فـيـهـا لندن كـمـدينة من الوهـم لاتتـصـل بـعـالم الحقيقة فى شـىء. كان راسل يرى فى خـياله المحموم جسور لندن وهـى تتـقـوض وتتـهـار وتغـوص فى اليم، ثم يرى المدينة العظيـمـة وهـى تتـلاشى بأكـملـهـا مـن الوجـود وتتـبـدد كـأنهـا

ضباب الصباح. وأحس الفيلسوف أنه يرزح تحت كابوس مزعج ويعيش فى عالم مادته من الأوهام. ولكنه آلى على نفسه أن يضع حدا لهذه الرؤية البشعة التى تشله عن العمل واجتاحه شعور عارم بضرورة الإقدام على شيء إيجابى.

ولم تدم سلبية برتراند راسل واستغراقه فى كابوس الحرب المزعج طويلا. فقد بدأ يخطب فى اجتماعات يعقدها المؤمنون بقضية السلام وكانت هذه الاجتماعات تمر غالبا دون أن يحدث ما يعكر صفوها، ودون أن يتعرض المجتمعون للاعتداء أو الأذى. وفى اجتماع عقده أنصار السلام فى كنيسة الأخوة فى سوث جيت رود فى حى من أفقر أحياء لندن على الاطلاق إندلعت أول شرارة لاضطهاد دعاة السلام فقد وزعت الصحف الوطنية منشورات فى كل الحانات القريبة من مكان الاجتماع تقول أن راسل وأعوانه على اتصال بالألمان الأعداء، وأنهم يرسلون إشارات إلى طائرات الأعداء حتى تتمكن من إسقاط قنابلها وإصابة الهدف بدقة .

أثارت هذه الشائعات عواطف الناس على أنصار السلام فحاصر بعض الغوغاء مكان الاجتماع فى الكنيسة يقودهم حفنة من رجال الشرطة .

وكان كل المتظاهرين من السكارى أو أنصاف السكارى. ولم يبد غالبية أنصار السلام رغبة فى المقاومة فقد كان

بعضهم يؤمن إيمانا راسخا بعدم المقاومة أو استخدام العنف مهما كانت الظروف. أما البعض الآخر فقد أدرك العبث الذى تنطوى عليه أية محاولة للمقاومة نظرا لقلة عدده. ولم يحرك ضباط البوليس الواقفون ساكنا فقد شاءوا أن يتركوا المجتمعين فى الكنيسة لمصائرهم المحتومة. وعبثا حاول ضباط البوليس إغراء السيدات بالابتعاد عن مكان الأحداث حتى لايصيبهن سوء. وحتى يخلو الجو أمام المتظاهرين ليفعلوا ما شاءوا بالرجال الجبناء الذين تسول لهم أنفسهم خذلان بلادهم فى وقت الشدة، فقد رفضت إحدى السيدات مغادرة المكان قبل أن يغادره زملاؤها من الرجال. فضربت بذلك مثلا رائعا للشجاعة اقتدت به بقية السيدات.

وعندما غلت مراجل الغضب فى عروق المتظاهرين من السكارى تقدم بعضهم من دعاة السلام يحملون عوارض خشبية مليئة بالمسامير. كل هذا ورجال الأمن لايحفلون بشىء مما يقع أمام سمعهم وبصرهم. وكان من نصيب برتراند راسل أنه تعرض لهجوم اثنين من السكارى عليه. واندفع المعتديان صوبه حاملين هذه العوارض الخشبية يريدان الفتك به. ولم يعرف الفيلسوف كيف يدافع عن نفسه أمام هذا النوع من الهجوم، ولما رأت إحدى السيدات الخطر الداهم الذى يتهدد حياته، طلبت من ضباط البوليس أن

يتدخلوا لحماية برتراند راسل من السكارى فهز رجال البوليس أكتافهم كأن الأمر لايعنيهم فى قليل أو كثير، وساء السيدة هذا الاستخفاف من جانب البوليس فصرخت فى انفعال: «ولكنه فيلسوف بارز». ولما لم يبد رجال الأمن أدنى التفات إلى الفيلسوف البارز عادت السيدة من جديد إلى الصراخ فى وجه رجال البوليس «ولكنه مشهور فى أنحاء العالم بأنه رجل علم». ولم يحرك البوليس ساكنا فتفتق ذهنها عن حيلة، وقالت للبوليس مستصرخة: «لكنه أخو إيرل» . وفى الحال اندفع رجال البوليس لإنقاذ برتراند راسل من براثن المعتدين. ولكن هذه المعونة من جانب الشرطة كانت متأخرة.. وفى هذه الأثناء كانت إحدى السيدات الداعيات للسلام قد اعترضت طريق الاثنين من السكارى اللذين هاجما راسل واستطاعت هذه السيدة أن تحول بينهما وبين الفيلسوف حتى توفر له فرصة للفرار. وتمكن راسل أخيرا من الهرب بجلده سالما. والذى لاشك فيه أنه مدين بحياته لهذه السيدة التى اعترضت سبيل السكارى. ولولا تدخل البوليس لحمايتها لفتك السكارى بها .

كان راسل يلقى خطبة فى كنيسة الأخوة التابعة لقسيس من دعاة السلام على جانب عظيم من الشجاعة. وعلى الرغم مما تعرض له الفيلسوف ورفاقه من عنف واعتداء وتهجم فقد

طلب منه هذا القس الشجاع أن يلقى خطابا عن السلام من منبر كنيسته. ولكن جمعا من الغوغاء اجتمعوا واضرموا النار فى منبر الكنيسة. وبطبيعة الحال لم يتمكن راسل من إلقاء خطابه. وهاتان الحادثتان هما الوحيدتان اللتان تعرض راسل فيهما لأعمال العنف فى سبيل دعوته.

ويسبب دعوة راسل للسلام طردته جامعة كامبريدج من استاذيته للرياضة بكلية ترينيتى. ثم أودعته سلطات الأمن الإنجليزية السجن لمدة أربعة شهور ونصف من عام ١٩١٨. وفى السجن طاب له المقام وخاصة لأن اللورد أرثر بالفور تدخل لدى سلطات الأمن حتى تعامله أحسن معاملة يمكن لمسجون أن يخظى بها ولاتحرمه من القراءة والكتابة طالما أنه لايكتب داعيا للسلام ووقف الحرب.. ويقول برتراند راسل أن عزلته التامة فى السجن أتاحت له فرصة للقراءة الدائبة والعمل المستمر فاستطاع أن يفرغ فى سجنه من كتابة «مقدمة للفلسفة الرياضية» كما بدأ فى تأليف كتاب آخر له يحمل عنوان «تحليل العقل». وفى السجن أبدى راسل شيئا من الاهتمام بزملائه المساجين وظهر له من معاشرة المساجين أنهم لايقلون من الناحية الأخلاقية عن بقية الناس خارج جدران السجون ولكنه لاحظ أن قواهم العقلية بوجه عام أقل بقليل من مستوى الذكاء البشرى المعتاد. والدليل على ذلك

على حد تعبير رسل المتهكم الساخر أن أمرهم افتضح وانتهى بالقبض عليهم .

وعند دخوله السجن يروى راسل نادرة حدثت له وأشاعت في نفسه المرح لمدة أسبوع كامل. فقد استوقفه حارس السجن عند البوابة الخارجية وطلب منه استيفاء بعض البيانات.. وسأله الحارس عن ديانته فأجاب راسل بأنه متشكك. فطلب الحارس الجاهل منه أن يساعده في هجاء هذه الكلمة الغريبة عليه وهو يقول متنهدا. «حسنا هناك أديان كثيرة ولكنى أعتقد أنها جميعا تعبد نفس الإله» .

وفي سبتمبر عام ١٩١٨ خرج برتراند راسل من السجن وكان من الواضح أن الحرب على وشك أن تضع أوزارها. وفي يوم ١١ نوفمبر عقدت الهدنة بين الدول المتحاربة وعاد السلام إلى العالم الممزق. وعندما علم الناس خبر إنتهاء الحرب عمت بينهم فرحة كبرى ودخل السرور إلى قلب الفيلسوف الكبير وشارك الإنسانية ابتهاجا غير أن شعوره القديم بالوحدة والعزلة سرعان ما عاد إليه .

## الفصل الثانى:

# محاكمة برتراند راسل فى أمريكا

أعتقد أنه من المفيد أن أسوق هنا فصلا من الكتاب الذى سبق لوزارة الثقافة فى مصر أن نشرت لى ترجمة له فى ١٩٩٨ لمؤلفه آلن وود بعنوان «الزواج والأخلاق» لأنه يوضح لنا السبب فى اتهام فيلسوفنا الكبير أمام المحاكم الأمريكية بالإنحلال والتهتك، والجدير بالذكر أن برتراند راسل ألف كتاباً بهذا العنوان عام ١٩٣٢.

## أ - الزواج والأخلاق

إننى من وجهة نظر معينة أشعر بالسرور وأنا أبدأ فى كتابة موضوع هذا الفصل، وذلك لأننى أعتقد أن راسل جانبه الصواب فيما يتعلق بهذا الموضوع، وقد يصيب الألم القارىء المتيقظ حين يكتشف أنى أعتقد (وهذا أمر يدعو للأسف فى بعض الأحيان) أن راسل كان على حق فيما يتعلق بمعظم الموضوعات التى تناولها، وإنى أعلم أن هذا أمر يؤسف له، وأنه من الأصوب فى كتاب من هذا النوع أن يلقى المرء من عليائه بين الحين والآخر ببعض كلمات قليلة من النقد والتجريح حتى يخلق انطباعا بالحيدة والنأى عن التحيز، وأننى أشعر بالأسف لعجزى عن أن أفعل ذلك. ومما يؤسف له أن أحداً حتى الآن لم يستطع أن يفند النتائج التى توصل إليها راسل فى معظم النقاط التى تعرض لها، كما أن معظم نقاده لايقدمون سوى السخافات ولكننى عندما أتناول موضوع الجنس والزواج، فإن آرائى وآراءه تتعارض على خط مستقيم، وأعتقد أن أفكاره فى هذا الموضوع تستند إلى خطأين أساسيين.

إن كتابات راسل عن العلاقات الجنسية و«تحرير المرأة» لاتشكل سوى قطاع واحد صغير من أعماله، وهو قطاع ليست له على الإطلاق أهمية إنجازاته العظيمة فى مجال

الفكر. ولكن ليس هناك أى موضوع آخر كتب فيه راسل أثار اهتماماً بين عامة الناس وترك أثراً مباشراً أكثر من هذا الموضوع، لقد غير راسل أكثر من أى فرد آخر من نظرة جيل جديد بأسره إلى أخلاقيات الجنس، وشاهد فى حياته كيف انتهت قضية حقوق المرأة إلى أن تصبح جزءا راسخا من قوانين البلاد وعادتها، بعد أن كان الناس فى وقت ما ينظرون إليها على أنها حملة يشنها نفر من الشواذ والمهاويس. ومنذ بضع سنوات قليلة كنت أناقش مع جلبرت مرى القضايا التقدمية المختلفة التى أشترك مع راسل فى الدفاع عنها فى أوائل القرن العشرين، وهى قضايا تتناول الدعوة إلى العالمية وحرية التجارة حتى حركة منع المسكرات، وخرج الدكتور مرى من هذه المناقشة بنتيجة مؤسفة، وهى أن القضية الوحيدة. من بين كل هذه القضايا التى قيض لها أن تنجح هى قضية حقوق المرأة.

وثمة سبب آخر يدعونا إلى مناقشة آراء راسل فى الجنس والزواج، وهو أنها تعطى مثلا واضحا لخطأ يتكرر فى فلسفته، فقد كان راسل كلما اندفع بحماس ملتهب فى مناقشة أى موضوع يجنح إلى الافتراض بأن كل مايقوله خصومه فى هذا الجدل يجانبه الصواب، وبالرغم من أن خصومه كانوا عادة على خطأ بالفعل، إلا أنهم لم يكونوا

مخطئين على الدوام فى كلّ مايذهبون إليه.

ويتلخص خطأ راسل الأساسى الأول فى أنه أشار ضمنا إلى أنه ليس فى الجنس شىء غـــريب، وأن أى جـــو من الغموض قد يحيط به لايرجع سوى إلى اتجاه دعاة الأخلاق الذين يشيعون الجهل فى العصر الفيكتورى - وقد كان راسل يمقتهم - إلى إضفاء هذا الغموض على الجنس، وكان هؤلاء يعتقدون أنه يجب ترك الأطفال فى حالة جهل مصطنع عن الجنس، ولكن راسل اتجه إلى الطرف النقيض، وكتب كما لو كان فى الامكان ذكر كل شىء عن الجنس للأطفال، وتساءل راسل قائلا : إنه إذا كان من الممكن استجلاء الغموض عن شىء رائع مثل الرياضيات، فلماذا لايمكن استجلاؤه فيما يتصل بالجنس أيضا، ولست أستطيع أن أوجه نقدا لراسل فى هذا الشأن أشد من قولى إن موقفه هذا يذكر المرء بستالين.

فقد كتب ستالين يقول: «إن مادية ماركس الفلسفية ترى أنه يمكننا معرفة كل شىء تماما عن هذا العالم وقوانينه، وليست هناك فى العالم أشياء لايمكن معرفتها، ولكن هناك فقط أشياء لاتزال مجهولة حتى الآن، ولكن سوف يتم كشف النقاب عنها ومعرفتها عن طريق جهود العلم والممارسة».

وفى كلمات تذكرنا بكلمات ستالين، كتب راسل عن الجنس

يقول: «إن الشيء المهم هو أن تخلق بأسرع مايمكن الشعور بأن الغموض الذى يكتنف الجنس لايرجع سوى إلى الجهل به، وهو جهل يمكن تبديده عن طريق الصبر والجهد العقلى»، وكتب يقول: «ينبغى علينا أن نتناول الجنس بنفس الأسلوب الذى نعالج به حقائق الحياة العادية المألوفة تماما كما لو كنا نشرح مثلا كيف يمكن لمياه الصودا أن تدخل سيفون الزجاجة الخاصة بها»، إن الأسلوب الذى يمكن به علاج صبى من اهتماماته المخلة بالآداب هو أن نغرقه بسيل من المعلومات حتى «يشعر بأنه لم يعد هناك مايجب معرفته، وأنه ليس فيما عرفه بالفعل مايثير»، ويجب محاربة الخرافات القائمة على الخوف من الموت بنفس الأسلوب، بمعنى أنه يجب أن نصف الموت «كما لو كان أكثر الأشياء التى نتخيلها ألفه». وكتب راسل ينصح الآباء والأمهات قائلا: «افعلوا كل ما فى وسعكم حتى تجعلوا الطفل يشعر أنه ليس هناك أى غموض حول الجنس وحتى تتركوا فى نفسه الانطباع بأن الأمر ليس فيه ما يثير إلى حد ما..».

والتعليق الوحيد الذى يمكن لى أن أعقب به على هذا الموقف هو أننى أعتقد فى استحالته، وإذا أخبرنى أى شخص أنه ليس هناك شىء غريب حول الجنس، وأن عملية إنتاج الأطفال ليس منها مايثير الدهشة أكثر مما تثيره فينا عملية

إنتاج السيارات فيمكننى للرد عليه أن أقول إننى لا أصدقه، وإذا حاول أى شخص أن يوحى إلينا بأن الحياة والموت موضوعان يبعثان على الملل نوعا ما، فكل ما أستطيع أن أقوله في هذا الشأن هو أنه ليس هناك من يعتقد هذا حقا ولو للحظة واحدة وأن راسل هو آخر من يعتقد فيه.

ويبدو لى واضحاً، دون حاجة إلى إقامة الدليل على ذلك، أن أسرار الحياة والموت ليست مجهولة فحسب، بل إنها يمكن أن تظل أشياء ليس هناك سبيل إلى إدراك كنهها.

وقد يأمل راسل والآخرون فى أنه سيمكنه فى يوم من الأيام الوصول بعلم الأحياء وعلم النفس إلى مستوى العلوم الطبيعية ولكن ليس هناك سبب مؤكد يدعونا إلى الاعتقاد فى إمكانية هذا، وإذا كان راسل يعنى ضمنا غير ما أقول، فإن موقفه سوف يتعارض مع اللا أدرية التى ترفض الجزم والتزمت والتي تتسم به كل نظرته الفلسفية، وإذا كان راسل يرى أنه بالرغم من كل ما نجهله عن الموت والحياة فإنه من السليم أن نعلم الآخرين أنه ليس هناك شيء مثير للدهشة حول كل منهما، فإن رأيه سوف يتعارض مع معتقداته الحقة حول الدور الصحيح الذى يجب على كل من التلاميذ والمعلمين أن يضطلعوا به، فعلى سبيل المثال، كتب راسل فى «مبادىء إعادة البناء الاجتماعى» أن المدرس الحق يجب أن يتمتع

بالقدرة على الشعور «بالتبجيل»، وأنه يجب عليه أن يشعر فى كل ماهو حى، خصوصا بنى البشر، والأطفال منهم بالذات، بوجود شىء مقدس، لايمكن تعريفه وليست له حدود، شئ مستقل قائم بذاته له قيمة تثير الغرابة والعجب، يتمثل فيه مبدأ الحياة النامى، ويتجسد فيه جزء من حركة العالم الخرساء التى تسعى جاهدة نحو استكمال أسباب الحياة»، وكتب راسل بصدد الأطفال: «يجب علينا ألا نصد فيهم أبدا حب الاستطلاع». ولكنه من الواضح أننا لا نشجع حب الاستطلاع والرغبة فى المعرفة بخصوص أى موضوع عندما نشير ضمنا إلى أنه يخلو من الإفادة والتشويق.

لماذا تردى راسل عندما نشر كتابه «عن التعليم» فى ١٩٢٩ فى وهدة اتخاذ موقف يمكن مقارنته – فى مجال واحد على الأقل – بموقف ستالين؟ لقد كان أحد الأسباب – كما سبق أن لاحظنا – هو اقترابه أكثر من أى وقت آخر من الفكر التقدمى التقليدى خلال هذه السنوات، وربما يرجع السبب الثانى إلى حد ما إلى موقفه الفلسفى العام، إذ أنه لم يكن قد توصل بعد توصلا كاملا إلى أفكاره المتعلقة بحدود المعرفة العلمية ولكنه لايمكننا أن نفهم السبب الرئيسى فى هذا الصدد، كما هو الحال غالبا فى كل من كتاباته الفلسفية وكتاباته التى تشيع بين عامة الناس، إلا إذا علمنا شيئاً عن

خصومه وطبيعة الشرور التى كان يهاجمها.

ونحن نجد أن الدين والأخلاق التقليدية قد أقاما صرحا عالياً من الخرافات والمحرمات والعرف والبؤس والعقول المنحرفة والحياة التعسة على أساس أن الجنس شيء غريب وأن هناك خوفا من الموت فى أغلب الأحيان، وبلغت رغبة راسل فى تقويض هذا الصرح حدا جعله يريد إنكار ما قامت عليه من أساس، ولأن الغموض قد أدى إلى الخرافات، فإنه أراد أن يلغي وجود الغموض، ولأنه يمكن للأخلاق التقليدية أن تخلق البؤس، فقد أراد أن يلغي وجودها، وكان راسل يكتب فى بعض الأحيان كما لو كان موقف العصر الفيكتورى من الجنس لا يمثل سوى صورة للانحراف العقلي يمكن علاجه عن طريق التعليم الصحيح، وهو ينسى أحيانا أن الجنس كان ملفوفا أبدا فى طيات التقاليد والمحرمات فى كل زمان ومكان، لأنه يمثل شيئا قويا وغريبا يثير من المشاكل مايعجز حتى أكثر الناس حكمه عن تقديم الحلول لها.

وكان راسل فى خطئه الأول يتفق مع ستالين، فى حين أنه أنه فى خطئه الثانى – الذى يكاد أن يكون أكثر سوءا – قد اتفق مع برنارد شو. ولقد عبر شو عن هذا الخطأ عندما جعل إحدى شخصياته تقول إن الرجل ما هو إلا امرأة، وإن المرأة ما هى الا رجل. «مع اختلاف بسيط لديهم» إلا فى بعض

المناسبات الخاصة». وكتب راسل يقول: إن الفرق الوحيد الذى أعرفه بين الرجال والنساء هو فرق لايمكن التعبير عنه بكلمات مطبوعة»، دون أن يعطينا قط أى توضيح مفصل لهذه الملاحظة التى تتسم بخصائص أسلوبه، وفى الواقع، فإنه يمكننا أن نجد فى كتاباته أقوالا تتعارض مع هذا الرأى، ولكننى أعتقد أن راسل، شأنه فى ذلك شأن بقية التقدميين فى عصره كان يقع فى العادة تحت تأثير الفكرة التى تتلخص فى هذه العبارة الغامضة: «المساواة بين الجنسين».

قد يكون النساء أقل شأنا من الرجال، وربما كن أرفع شأنا، ولعلهن خليط من هذا وذاك، ولكن الشىء الوحيد المؤكد تماما هو أن النساء لايتساوين مع الرجال وهناك على سبيل المثال دلائل كثيرة تشير إلى أن النساء، لأسباب تتعلق بالتشريح ووظائف الأعضاء، هن فى المتوسط أقل قدرة من الرجال فى كثير من الإنجازات الجسمانية والعقلية وفيما يتعلق بالقوة الجسمانية، فإن هذا أمر تؤكده الاختبارات العملية، وقد نتوقع أن إدراك هذه الحقيقة من جانب دعاة الحركة النسائية التى تطالب بمساواة المرأة بالرجل يجعلهم يشعرون ببعض الشكوك إزاء موقفهم، ولكنه على العكس من ذلك نجد أنهم يستغلون صعوبة التوصل إلى معايير يمكن بها قياس القدرات العقلية فيؤكد فى رقة ولطف دون أن يستندوا

فى ذلك إلى أية أدلة على الإطلاق – أن الجنس الناعم – رغم أنه أضعف من الناحية الجسمانية، يتساوى مع الرجال من ناحية القدرات العقلية.

وكان راسل أمينا بالقدر الكافى لأن يسلم بأن النساء يظهرن على وجه العموم ذكاء أقل مما يظهره الرجال، وبوصفه واحديا محايدا يميل إلى الأخذ بالمذهب السلوكى فى علم النفس، كان يمكنه أن يجد تفسيرا سهلاً لهذا فى القول .. بنوع من العلاقة المتبادلة بين القدرات الجسمانية والعقلية، ولكنه بدلا من ذلك، خرج بدعوة غريبة مفادها أن السبب الرئيسى الذى يجعل النساء أقل ذكاء من الرجال هو أن حب استطلاعهن بشأن الجنس تعرض للكبت الفعال فى شبابهن أكثر مما تعرض له الرجال. ولست أعتقد أن هذا يفسر تفسيرا مرضياً ندرة وجود الفيلسوفات والرياضيات والعالمات نسبيا بين النساء.

إن تكريس راسل كل جهده لقضية المساواة بين الجنسين مثل يثير الاهتمام على وقوع أكثر المفكرين استقلالا تحت التأثير اللاواعى للمناخ الثقافى فى عصره، وهناك أيضا جانب الولاء الطويل الأمد للمبدأ، خاصة وأن والده، وج.س.ميل، الذى كان راسل يعتبره بطلا فى مرحلة صباه، قد تعرضا للسخرية على أساس انهما رائدان من رواد

الحركة النسائية، فضلا عن أن أحد عناصر التقاليد الليبرالية التى تربى راسل فى ظلها يتمثل فى مناصرة الضعيف على القوى، وفوق كل شىء إن الايمان بعدم المساواة بين الرجل والمرأة كان جزءا لايتجزأ من نظرة العصر الفيكتورى إلى الحياة، تلك النظرة التى ثار راسل فى وجهها*.

ولاحظ راسل أن الخيانة الزوجية تنتشر بصورة تقليدية بين الأزواج أكثر منها بين الزوجات، ورأى أنه ليست هناك أسباب صحيحة - سواء كانت فسيولوجية - وراء هذا الاختلاف وبدا له أنه حتى يصبح الطرفان متكافئين، فإنه ينبغى على الزوجات أن نخنَّ أزواجهن مثلما يخون الأزواج بدلا من كبح جماح رغباتهم في خيانة زوجاتهم، أن يكتفوا بالحد من مشاعر الغيرة تجاه أية خيانات مماثلة ترتكبها هذه الزوجات، وقال راسل: إن الخيانة الزوجية يجب ألا تعتبر فى حد ذاتها سبباً يبيح الطلاق.

وكتب يقول: «إن الكثير منا يعتقد أن محاولة فرض الزواج

---

* أكد راسل إن لايدعو إلى المساواة التامة بين الرجل والمرأة، بل إنه يدعو فقط إلى المساواة بينهما فى الحقوق. كما أكد أن دفاعه عن المساواة فى الحقوق غير مستمد من أى مبدأ قبلى، بل مستمد من المذهب النفعى الذى يدعو إلى تحقيق أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس، ولست أظن أن هذا يؤثر على المحاجة الى أسوقها تأثيرا كبيرا، لأن لدى فيما أعتقد تحيز مشابه ضد الحديث عن «الحقوق المتساوية» اللهم إلا إذا تحدثنا عن هذه الحقوق بمعنى جلى واضح.

بواحدة بصورة متشددة (وهو الأمر الذى لم ينجح أبدا) تسبب كثيرا من البؤس (الذى يمكن تجنبه) شأنها فى ذلك شأن الشرور السياسية والاقتصادية» .. وبين كل أشكال الحرص، ربما يعد الحرص فى الحب أكثر العوامل المدمرة للسعادة الحقة.

ويتمشى هذا الرأى مع الحاجة الرئيسية التى ساقها فى كتابه «مبادىء إعادة البناء الاجتماعى»، ومفادها أنه يجدر بنا تشجيع الدوافع الخلاقة وعدم تشجيع نوازع التملك، ورأى راسل أنه إذا كان فرض الضوابط أمرا ضروريا، فإنه ينبغى علينا ألا نضع الضوابط على عاطفة الحب الطليق الممتع، بل على عاطفة الغيرة السلبية المقيدة.

ولكنى أطمأن أن هذا الرأى الجذاب قد فشل فى أن يضع فى اعتباره أن التحكم فى الأفعال أسهل من التحكم فى العواطف.

ليس من المستحيل بالنسبة لرجل يشعر بالرغبة الجنسية أن يعف عن أداء العمل الجنسى، كما أنه ليس من المستحيل بالنسبة لرجل يشتبه فى خيانة زوجته له أن يمتنع عن قتلها، ومثل هذه الأمثلة التى تدل على ضبط النفس تحدث كل يوم مع أناس عاديين وسلوك عطيل يمثل الاستثنائية للغاية من البرود الجنسى، حتى لايشعر المرء فى المقام الأول بنوازع

الجنس أو عواطف الغيرة، والنقد الوحيد الذى نحتاج لتوجيهه إلى نوع الزيجات التى اقترحها راسل، وهو أن مثل هذه الزيجات لاينجح، لأنه لايمكن فى واقع الأمر القضاء على مشاعر الغيرة والتعاسة فيما يتعلق بعامة الناس.

وقد يكون راسل مخطئا فى هذه النقطة، ليس لأن آراءه متقدمة أكثر مما ينبغى، ولكن لأنها تقليدية أكثر مما ينبغى وربما كان راسل فى ثنائه على الأزواج والزوجات الذين يستطيعون النظر إلى خيانات بعضهم البعض برباطة جأش متأثرا بصورة لا شعورية بالاعتقاد الأرستقراطى فى إظهار العواطف ينم عن سوء السلوك. لقد ظن الذين كانوا يمارسون التجارب فى شئون الجنس فى العشرينات والذين كانوا يفخرون بفسقهم العرضى وبعدهم عن الإحساس بالغيرة، أنهم يمثلون قمة العصرية فى التفكير والتحرر من المحرمات، ولكنهم فى واقع الأمر كانوا يمثلون قمة التقليد الأرستقراطى الراسخ القدم الذى يمجد ضبط النفس.

من السهل والواضح معا أن يوجه المرء نقده إلى راسل عندما كان يكتب عن المشاكل الإنسانية على أساس أنه يغالى فى استخدام المنطق والعقلانية إلى درجة أنه وجد من الصعب عليه أن يفهم مدى لاعقلانية سلوك الناس. وليس لهذا النقد مايبرره عادة كما سبق لى أن أوضحت. وإن كنت أعتقد أنه

من الصحيح أن راسل كان عاجزا عن فهم المحاجة التى يستند إليها الزواج التقليدى، ويرجع ذلك ببساطة إلى لاعقلانيتها وما فيها من مفارقة فضلا عما فيها من غموض، إذ إنه مما يتسم باللاعقلانية أن يقطع المرء وعدا بأن يحب امرأة واحدة بعينها مدى الحياة، فى الوقت الذى يزخر فيه العالم بنساء أخريات لم يقابلهن بعد، قد يرقن فى نظرة ولكن الحياة تسير على ماهى عليه، لأن عدد المحبين الذين يستغرقون فى قدر كاف من الحب يكفى لتجاهل هذه الحقيقة الواضحة، وتكمن فضيلة الزواج بواحدة فى هذه المفارقة. فهو يوفر للمتزوجين الحرية بنفس القدر الذى يقيد به حريتهم. وعندما يكون الوفاء فى الحب أمراً مؤكدا بصورة قاطعة، فإنه يحق لكل من الزوجين أن يستمتع بأية صداقات يريدها الجنس الآخر، ويحق له أن يسافر بمفرده، وأن تكون له اهتماماته المختلفة الخاصة به، وإلا فإن حرية الأزواج سوف تصبح، إن عاجلا أم آجلا، حبيسة داخل أسوار من الشك والغيرة.

ولم يكن راسل يدعو إلى أية نظرية دون أن يكون مستعداً لأن يراها توضع موضع التنفيذ، وذكر لصديقة متزوجة أنه ليس هناك سبب يدعو إلى أن يكون لها عشيق، فضلا عن أنه كان يطبق نظرياته على نفسه (الواقع أن جيلبرت مرى أعرب

لى عن رأيه ذات مرة – وكان ذلك إلى حد ما أسلوبه الذى يتميز به – وهو أن راسل تخلى عن تقاليد الزواج بواحدة ، لأنه لما كان قد قرر بالجدل العقلى أن يحبذ الحرية فى الحب، فقد شعر لزاماً عليه أن يضع ما يحبذه موضع التنفيذ. وقد سأل شخص راسل ذات مرة إذا كان لا يرى أنه يقسو على النساء اللائى يهوينه، واللائى يفتر اهتمام راسل بهن فيما بعد، فرد عليه راسل متساءلاً، «لماذا؟ إنهن يستطعن هن الأخريات أن يجدن رجالاً آخرين». وتعبر هذه الملاحظة عن التواضع الذى يمكن للعظماء أن يتصفوا به. ويبدو ببساطة أنه لم يخطر على بال راسل أن أى رجل آخر يمكن أن يكون بديلاً لا يبعث على الرضا، ولم يدرك أى فرق فى السرعة التى يستطيع بها الرجال والنساء، كقاعدة عامة، تغيير الشخص الذى يوجهون عاطفة الحب نحوه.

وفى فترة من فترات حياته الزوجية مع دورا ضرب راسل مثلاً حياً على وضع نظرياته موضع التنفيذ، إلى حد أنه سمح لواحد من عشاق دورا أن يعيش معهما تحت سقف واحد.

وهناك قاعدة تلتزم بها من قبيل الشرف الصحافة والخطابات فى بريطانيا وتقضى هذه القاعدة عند الكتابة عن إجراءات الطلاق على الاقتصار على الجوهريات فقط. وإننى أنوى اتباع هذا التقيد وسأقتصر فيما أكتبه عن فسخ زواج

راسل الثانى على ملخص قصير لماورد فى هذا الصدد فى صحيفة التايمز الصادرة فى هذا الوقت ذكرت دعوى الطلاق التى رفعتها دورا أن راسل يخونها ما مارجورى سبنس، وهي طالبة فى جامعة أكسفورد كانت قد التحقت بعمل لدى أسرة راسل، وساعدت راسل فى أبحاثه فيما بعد. وقد اتضح أثناء النظر فى الدعوى أن دورا أنجبت أربعة أطفال، من زواجها من راسل، منهم اثنين فقط من راسل نفسه. «وقد أكد لنا راسل فى كتاباته أنه لا ينبغى للعلاقات الجنسية التى تنشأ خارج نطاق الزواج أن تؤدى إلى إنجاب الأطفال». واعترفت دورا بالزنا مع رجلين، ولكن قيل: إن «كلتا الحالتين المتعلقتين بحياتها الزوجية قد سبقتها حالتان على الأقل من حالات الزنا من جانب زوجها». وكان هناك إشكال قانونى فى حالة انفصال سابقة أثارت اهتمام رجال المحاماة، ولكنها لا تهمنا فى هذا المقام. وقد تم فسخ زواج راسل بدورا فى عام ١٩٣٥، ثم تزوج باتريشيا سبنس (*) فى يناير ١٩٣٦، وأنجب منها طفلهما الوحيد فى العام التالى حدوث أى طلاق

(*) غيرت مارجورى سبنس اسمها إلى باتريشيا دون أن تشرك أحداً معها فى إجراءات التغيير القانونية. وكان أصدقاؤها يطلقون عليها اسم بيتر ومن ثم نشأت تلك الإشارات - التى تدعو إلى الخلط بعض الشئ- الوارد فى تصدير بعض كتب راسل إلى ما تلقاه من عون ومساعدة على يدى شخص يشير إليه تارة باسم بيتر سبنس وتارة أخرى باسم باتريشيا راسل.

آخر لايثبت خطأ الزواج التقليدى .

لقد انتقدت في الصفحات السابقة ما ذكره راسل عن الزواج ، ولكنه يجب أن نعالج آراءه الخاصة بتحبيذ التجارب الجنسية قبل الزواج معالجة مستقلة . وقد كتب راسل يقول :

ليس من المرغوب فيه أن يقدم الرجل أو المرأة على عملية الزواج الجاد التى يقصد بها أن تؤدى إلى إنجاب الأطفال بدون أن يكون لها تجارب جنسية سابقة قد أصبحت وجهة النظر هذه – وإن كانت لاتزال مثار كثير من الجدل – تجد قبولا على نطاق واسع فى كثير من البلاد .

وأثنى راسل على الكتاب الذى ألفه ليون بلوم رئيس الوزراء الفرنسى الاشتراكى الذى دعا فيه إلى أن يكون للفتيات نفس حق الشبان فى ممارسة الإباحية الجنسية .

ودافع راسل عن هذا الرأى على أساس ما يقتضيه «العدل» . وأعرب عن أسفه ، لأنه ليس هناك رئيس وزراء بريطانى يجرؤ على نشر مثل هذا الرأى . كان بلوم يعتقد أن غرائز كل من الجنسين تتميز بالنزعة الإباحية فى مرحلة الشباب ، ولكنها تتجه نحو الانتصار فى الزواج على واحدة فى الثلاثين من العمر ، وهو الوقت الذى ينبغى عقد الزواج فيه . وكان نقد راسل الوحيد للكتاب هو أن الشك يخالجه فى

مجىء هذه الرغبة فى الاقتصار على زوجة واحدة أو زوج واحد فى أية فترة من حياة الإنسان .

ويتلخص أشهر رأى من آراء راسل الجنسية فى أن حياة معظم طلبة الجامعة - تكون أفضل - «سواء من الناحية الفكرية أو الأخلاقية» إذا عقدوا زيجات مؤقتة دون إنجاب أطفال . وكتب يقول :

«إن هذا سوف يقدم مخرجا للدافع الجنسى ، دون ممارسة الجنس فى قلق أو فى الخفاء . وهى ممارسة لن تكون مرتزقة أو عارضة كما أنها من نوع ليس من شأنه أن يضيع وقت الطلبة الذى ينبغى تكريسه للعمل . وحتى الآن لم تنظر أية سلطات جامعية إلى هذا الاقتراح بعين العطف .

أما فيما يتعلق بغرائزى الخاصة بى ، فإنها من الطراز العتيق ، ولا تثق بأى شىء يتسم بهذا القدر من المنطق الذى يتسم به اقتراح راسل هذا . ولكنه لايمكننا هنا أن نقيم نفس الدليل العملى ضد ما يذهب إليه . إن السبب الرئيسى الذى يعلل رد الفعل الذى ظهر ضد آراء راسل حول الزواج هو أن هذه الآراء لم تؤد إلى نتائج سعيدة . وإذا كان هناك أى رد فعل ضد آرائه الخاصة بإباحة العلاقات الجنسية قبل الزواج، فإن السبب يرجع أساسا إلى الرخاء الاقتصادى الذى حدث بعد الحرب العالمية

الثانية حيث أصبح من الممكن معه أن تتم الزيجات في سن مبكرة بكثير عن السن الذي كانت تتم فيه في سنوات الكساد الاقتصاد ، وهي السنوات التي أصدر فيها راسل كتاباته في هذا الموضوع .

فضلا عن أن الظروف المتغيرة أثرت أيضا على دعوة راسل الخاصة بعدم حرمان النساء غير المتزوجات من الأمومة بسبب تقريع الرأي العام ولومه .

ففي الوقت الذي كتب فيه راسل كان عدد النساء اللائي بلغن سن الزواج يفوق عدد الرجال الذين في نفس السن ، بحيث أن الزواج بواحدة فقط كان يعني حتما أنه سيكون هناك فائض من النساء وانقلب هذا الوضع في بريطانيا على أية حال بعد الحرب العالمية الثانية حيث أصبح عدد الرجال في سن الزواج . أكثر من عدد النساء اللائي في نفس السن .

ولست أستطيع أن أنهي هذا التعليق على آراء راسل دون أن أؤكد الفضل الذي ندين له به بسبب ما قدم به من عمل عظيم في ميدان التحطيم . وربما كان أفضل إشادة بنجاحه هو أن قله من الناس الآن تدرك ما كانت عليه طبيعة الأفكار القديمة ويجب أن نكرر أن راسل كان يقاتل ضد أوضاع قاسية لايمكن الدفاع عنها حيث كان يتم فرض الجهل

الجنسى بصورة متعمدة ، إلى حد أن الصبى كان يظن أن التغيرات التى تطرأ عليه فى فترة البلوغ هى أعراض مرض مروع ، وإلى حد أن الفتاة كان يمكن أن تتزوج دون أن تعرف أى شيء عما يحدد فى ليلة الزفاف ، وحيث كانت النساء يتعلمن أن ينظرن إلى الجنس ، ليس على أساس أنه مصدر للمتعة ، بل على أساس أنه واجب مؤلم من واجبات الزواج ، وحيث وصل التحشم إلى درجة تغطية أرجل البيانو بستائر من الجوخ حتى لا تظهر أرجل الجنس الناعم . وحيث كان الغموض المصطنع يثير الفضول المريض ، وحيث كان الزيف يسير جنبا إلى جنب مع التعاسة . وحيث لم يكن فى الإمكان التوصل إلى مخرج من محنة زواج بائس الا عن طريق إثبات قانونى معقد لحدوث الزنا ، وحيث كانت أخلاقيات الجنس الصارمة يصحبها قبول للدعارة وغض الطرف عنها .

إن ثورة راسل على التقليد لم تقض على كل هذه المساوىء وذلك لأنه – فيما أعتقد – لم يقدر كل الأسباب التى تكمن وراء هذه المساوىء ولكن العلاقات القائمة بين الرجال والنساء لايمكن أن تعانى مرة أخرى من بعض الشرور التى هاجمها . ولا تزال آراؤه فى نقاط كثيرة – على أقل تقدير – أمثلة عليا فى التسامح وتقدير الظروف ينبغى أن نسعى إلى

تحقيقهما حتى يومنا الراهن .

## ب – محاكمة برتراند راسل فى أمريكا

فى عام ١٩٤٠ خلبت وظيفتان لتدريس الفلسفة بجامعة مدينة نيويورك بعد أن اعتزل الخدمة أستاذ الفلسفة فى قسم الفلسفة بالجامعة ورشح «برتراند راسل» الذى كان يحاضر فى الفلسفة فى جامعة كاليفورنيا حينذاك كى يشغل أحد المكانين الشاغرين . وأرسلت جامعة مدينة نيويورك دعوة إلى الفيلسوف المعروف للعمل بقسم الفلسفة بها لمدة عام (ابتداء من ١ فبراير ١٩٤١ حتى ٣٠ يونية ١٩٤٢) .وقد قابل جميع أعضاء هيئة تدريس الفلسفة ومجلس إدارة الجامعة وشتى المسئولين فيها دعوة الفيلسوف الكبير بالاستحسان والترحيب البالغين . واعتبر الجميع أن تعيين «برتراند راسل» كسب عظيم للجامعة لم تنعم بمثله طوال حياتها الأكاديمية . وقبل «راسل» الدعوة فأرسل له رئيس مجلس التعليم الأعلى خطابا يعبر فيه عن شكره وامتنانه لقبوله للدعوة ، ويؤكد فيه النصر الكبير الذى ينطوى عليه قبول الفيلسوف العظيم للتدريس فى جامعة مدينتة نيويورك .

### هجوم شرس

عندما أذيع تعيين راسل هاجت الدنيا وماجت وتعالت الأصوات بالقدح والهجوم عليه فقد أرسل الأسقف ماتنج

خطابا دوريا نشرته كافة صحف نيويورك قال فيه : «ما عسى أن يقال عن الكليات والجامعات التى تعين لشبابنا مدرسا مسئولا للفلسفة . عرف بتهجمه على الدين والأخلاق ودفاعه عن الزنا بالذات» ، ولم تمض أيام حتى عاد هذا الأسقف إلى شن هجوم مقذع على «راسل» قال فيه : «هناك قوم ممن اضطربت عقولهم وأخلاقهم لا يجدون خيراً فى تعيين رجل يقول فى كتاباته المنشورة «ليس هناك مقياس للأخلاق خارج الرغبات الإنسانية» .

وكان خطاب الأسقف «ماتنج» بمثابة الطلقة التى أعلنت بدء المعركة التى خاها معارضو «راسل» للتشهير به والضغط عليه وتخويفه . قد شنت عليه الصحافة الأمريكية أقذع هجوم واتهمته بأبشع التهم وأغلظت له الكثير من القول . قالت «التابلت» إن تعيين «راسل» جاء كصدمة قاسية ومهينة لكل أهالى نيويورك ولسائر الأمريكان الحقيقيين وطالبت الجريدة ، فى مقال افتتاحى لها ، بإلغاء هذا التعيين ووصفت راسل بأنه أستاذ الوثنية وفيلسوف الفوضوية الأخلاقية ، فى بريطانيا العظمى .. الرجل الذى أصبح دفاعه عن الزنا كريها حتى إنه يقال إن أحد أصدقائه اعتدى عليه بالضرب .

أما مجلة اليسوعيين الأسبوعية «أمريكا» فأشارت إلى

راسل بقولها إنه «مدافع عن الإنحلال الجنسى السافر ومطلق ومتهتك .. وهو الآن يلقن الطلبة فى جامعة كاليفورنيا سموم الإباحية والحياة المتهتكة المنحلة فى أمور الجنس والحب الدنس وزواج المتعة . هذا الإنسان المفسد الذى لم يكن أمينا مع عقله وضميره والذى يربأ كل إنجليزى شريف بنفسه أن يقيم صلة به وشبه بعضهم الفيلسوف الإنجليزى بالحية الرقطاء التى تكمن فى الحشائش .

وقد أبرق أحد معارضيه خطابا لعمدة مدينة نيويورك لاجارديا يقول فيه : «لو كان «برتراند راسل» أمينا حتى مع نفسه لأعلن كما أعلن «روسو» من قبل : «أننى لا أستطيع أن أرى كتابا من كتبى دون أن يقشعر بدنى فأنا أفسد بدلا من أن أعلم وأنفث السموم بدلاً من أن أغذى . ولكن العواطف الهوجاء ، تعمينى . ولست رغم أحاديثى المهذبة إلا وغدا» . وطلب مرسل البرقية من العمدة التدخل لحماية الشباب من النفوذ السيىء «لهذا الرجل العبقرى القرد رسول الشيطان إلى الإنسان» .

وعندما إزداد ضغط الرأى العام الهائج على الأوساط الجامعية لاختيارها غير الموفق اضطر أحد أعضاء مجلس التعليم الأعلى الذى سبق أن صوت لتعيين «راسل» بالإجماع بأن يصرح بأسفه على هذا التعيين وبرر قبوله لتعيين «راسل»

فى البدء بأنه لم يكن على علم من قبل بآراء راسل الفاضحة .

## نصير الشيوعية

ولم تسكت الصحافة عند هذا الحد بل تمادت فوصفته إحدى الصحف وهى «جورنال أند أمريكان» بأنه يجند شيوعية النساء وحملهن سفاحاً وتربية الأطفال كى يصبحوا أدوات طيعة فى يد دولة ملحدة . ولم تقف حملات التشهير عند هذا الحد رغم أن آراء «راسل» المعادية للشيوعية السوفيتية معروفة لدى الجميع إلا أن أعداءه ومعارضيه كانوا يعمدون إلى إختطاف عبارات من كتب له كان قد ألفها فى الماضى دون ذكر للنص أو السياق الذى وردت فيه وكانوا يستدلون بهذه المقتطفات على أنه نصير للشيوعية . وهكذا أصبح الفيلسوف الكبير مضغة فى أفواه معارضيه الذين لم يكتفوا بالتنديد بانحلال خلقه بل أضافوا إلى هذا تهمة الشيوعية .

وتقدمت هيئات وجمعيات لا حصر لها تحرص على شئون التربية والتعليم تطالب بطرد الفيلسوف الزائر كما تطالب بطرد جميع أعضاء مجلس التعليم الأعلى الذين صوتوا لتعيينه . وصال رجال الدين وجالوا وانبزوا بالهجوم على «راسل» فى خطب حماسية ملتهبة مثيرة وركز رجال الدين هجومهم على نقطتين أولهما أن «راسل» أجنبى فليس له الحق

القانونى فى أن يقوم بالتدريس فى جامعة أمريكية . والأخرى أن آراءه فى الجنس تشكل خطراً على الأخلاق العامة وتدفع إلى الجريمة .

وهاجمه القس «جون شولتز» فى كلية «أسبوبس» اللاهوتية قائلاً : «إن شباب هذه المدينة يتعلمون على يد «راسل» أن الكذب شىء لا وجود له ، كما يتعلمون أن السطو مشروع وله مبرراته وكذلك النهب والسرقة وهم يتعلمون منه كما تعلم الخارجان عن القانون «ليوب وليبولد» فى شيكاغو أن الجرائم الفظيعة غير الإنسانية مشروعة أيضا ولها ما يبررها .

وبالإضافة إلى هذا كله اتهم «راسل» بأنه يحض الأبناء على كراهية الآباء والحقد عليهم ، كما أن تعاليمه تشجع على إراقة الدماء فى سبيل المتعة الجنسية .

واشترك عدد كبير من رجال السياسة فى المعمعة فاحتج واحد منهم (وهو قاض) على إنفاق أموال دافعى الضرائب على تعليم فلسفة فى الحياة تنكر وجود الله وتتحدى الذوق والتربية كما تتعارض تماما والروح الدينية التى تميز الأمة الأمريكية وحكومتها وشعبها .

## تهديدات بإلغاء المعونة

وقدم أحد أعضاء المجلس البلدى فى نيويورك اقتراحا

يطلب فيه من مجلس التعليم الأعلى إلغاء قرار تعيين «برتراند راسل» وفاز هذا الأقتراح بأغلبية أصوات أعضاء المجلس البلدى (١٦ صوتا مقابل خمسة) .

ولكن «ستانلى إيزاكس» الجمهورى لم يكترث لشعور الجماهير الملتهب وانبرى مدافعا عن «راسل» وعن مجلس التعليم الأعلى .

وقد صرح أحد أعضاء المجلس البلدى المعارضين لراسل فى اجتماع عام أنه سيطلب من المجلس إلغاء معونته لعام ١٩٤١ للجامعات فى مدينة نيويورك البالغة سبعة ملايين ونصف المليون دولار إذا لم يتم طرد «راسل» وقال إنه لو كان الأمر بيده لتأكد من إيمان الجامعات بالله أو لأغلق أبوابها .

وتوالى الخطباء فى هذا الاجتماع وسب أحدهم واسمه «تشارلس أ. كيجان» راسل سبا قاذعاً . وقال آخر إنه لو كان نظام الهجرة والجوازات فى أمريكا نظاماً دقيقا لما أمكن لهذا الوضيع أن يطأ بقدمه أرض الولايات المتحدة .

## الأكاديميون يدافعون عن «راسل»

هال رجال الجامعات فى أنحاء الولايات المتحدة أن يتدخل على هذا النحو أناس لا تربطهم بالحياة الأكاديمية صلة فى مسألة جامعية بحتة . وتحرك حشد من العلماء والأكاديميين

يدافعون عن حرية البحث والاستقصاء العلمى . وهب لنصرة «راسل» مديرو الجامعات وكبار الأساتذة فى طول البلاد وعرضها . وكتب سبعة عشر عالما مرموقا خطابا إلى عمدة المدينة يحتجون فيه على «الهجوم المنظم على تعيين برتراند راسل الذى طبقت شهرة الآفاق» واستطرد العلماء فى خطابهم قائلين إنه إذا نجح هذا الهجوم على رجال الفكر والفلسفة فلن تكون هناك كلية أمريكية أو جامعة بمأمن من سيطرة محاكم التفتيش التى يحركها أعداء الحرية الفكرية ، إنها لميزة نادرة لأى طلبة فى أى مكان أن يتلقوا العلم على يد رجل له عقل «برتراند راسل» ويجب على نقاده أن ينزلوه فى شرف على الأرض المكشوفة ، أرض النقاش الفكرى والتحليل العلمى وليس لهم الحق فى إسكاته بمنعه من التدريس .. والمشكلة التى نعرض لها الآن أجلّ من أن تقبل المساومة أو التهاون فالمساومة فيها تعرض كل الأساس الذى تنبنى عليه حياة الجامعات الأمريكية للخطر» .

## دفاع «آينشتين»

وتصدى صفوة العلماء والمفكرين للدفاع عن راسل وعلى رأسهم «آينشتين» و«ديوى» و«هوايتهد» .

وقد ذكر «آينشتين» فى هذا الصدد أن «الأرواح العظيمة

هى التى تجد دائماً معارضة من التافهين والعاديين من الناس لأنهم لايستطيعون أن يفهموا إنساناً يمكنه ألا يخضع للعقائد المتوارثة وأن يستخدم عقله فى جرأة وإقدام» .

ولم يكن الدفاع عن «راسل» مقصوراً على رجال العلم والجامعات فقد انبرى للدفاع عنه عدد غير قليل من رجال الدين المستنيرين .

والتف تسعة من الناشرين اللامعين حول قضية «راسل» وأصدروا بيانا يمتدحون فيه تعيين الفيلسوف الكبير ويثنون على مجلس التعليم الأعلى لتوفيقه فى هذا الاختيار وأضاف الناشرون فى بيانهم أنهم لايدينون بالضرورة بآراء الكتاب والمفكرين الذين يقومون بنشر كتبهم ولكنهم يشجعون العقول العظيمة ويرحبون بها حتى تتغلب قوى العقل والحجج على قوى البغى والجهل والظلام وكتبت دروتى تومسون فى المقالات الافتتاحية لمطبوعات «بيلشرز ويكلى» و«نيويورك هيرالد تريبيون» تدافع عن خلق الفيلسوف العظيم فقد ذكرت تحت عنوان «اللورد راسل غير منحل الأخلاق» : «إن أى إنسان يعرف «راسل» يعلم أنه رجل يمتاز بأرفع مراتب الكمال الشخصى والتفوق العقلى» .

وفى اجتماع عام نوه أستاذ الفلسفة السابق بجامعة

مدينة نيويورك والذى جاء «راسل» ليحل محله بأفضاله وأياديه البيضاء على العلم والفلسفة وقارن «راسل» بـ «سقراط» وذكر أن إلغاء تعيين «راسل» سيكون وصمة عار فى جبين مدينة نيويورك تماما كما أصبحت محاكمة «سقراط» بزعم إفساد الشباب وصمة عار فى جبين أثينا ووقف آباء الطلبة وأولياء أمورهم فى صف «راسل» . فقد استحسنت جمعية الآباء بإجماع الأصوات الخطوة التى خطتها هيئة التعليم الأعلى فى اختيار «راسل» كأستاذ للفلسفة فى جامعة مدينة نيويورك .

## المعارضة تفشل .. والقتال المستمر

وفى وجه التهديد الصارخ والغضب العارم الذى اجتاح الرأى العام فقد ضغط بعض أعضاء مجلس التعليم الأعلى أعصابهم . ولكن البعض الآخر ظل متمسكا فى شجاعة واستبسال بحق المجلس فى تعيين «برتراند راسل» دون تدخل أو ضغط أو تهديد . وفى اجتماع عقده هذا المجلس تاريخ ١٨ مارس أصرت أغلبية الأعضاء على موقفها السابق وأكدت تعيين «راسل» بأغلبية الأصوات (١١ صوتا مقابل سبعة أصوات) . وهكذا باءت المعارضة بالفشل فى اعتراضها على تعيين الفيلسوف الكبير للتدريس بجامعة مدينة نيويورك .

ولكن المعارضة لم تستسلم أو تلق بسلاحها أمام الهزيمة فقد عمدت إلى محاربة «راسل» على كل الجبهات ، وسعت جاهدة حتى تحول بينه وبين التدريس فى جامعة «هارفارد» التى كانت قد دعته لإلقاء سلسلة محاضرات فيها معروفة باسم محاضرات «وليم جيمس» . وذلك فى فصل الخريف الدراسي من عام ١٩٤٠ وفى يوم ٢٤ مارس كتب «توماس دورجان» الموكل التشريعى لمدينة بوسطن إلى «جيمس باكونانت» مدير جامعة «هارفارد» حينذاك يقول : «أنت تعلم أن «راسل» يدافع عن زواج الصداقة والتجربة وحل الروابط التى تقيد السلوك الأخلاقى ورجائى أن نلاحظ أن استئجار مثل هذا الرجل ينطوى على إهانة لكل مواطن أمريكى ، فى ولاية ماساشوستس» .

وفى الوقت نفسه تقدم المعارضون «لراسل» إلى الهيئة التشريعية بولاية نيويورك يطلبون التدخل لدى مجلس التعليم الأعلى لإلغاء تعيينه ، وبالفعل تقدم أحد أعضاء مجلس الشيوخ إلى هذه الهيئة التشريعية باقتراح يتضمن اعتبارا «أن المدافع عن أخلاق «زريبة المواشى» شخص لا يصلح لأن يشغل وظيفة مهمة فى نظام التعليم فى ولايتنا على حساب دافعى الضرائب» . ووافقت اللجنة التشريعية بالإجماع على هذا الاقتراح دون أن ينهض صوت واحد

للاعتراض عليه .

وكان هذا القرار بمثابة خطوة تمهيدية لاتخاذ إجراءات أشد عنفا وأكثر ضراوة ضد «برتراند راسل» وتأديب الأحد عشر عضواً فى مجلس التعليم الأعلى الذين سولت لهم أنفسهم الماضى فى الغى والضلال والإصرار على تعيين «راسل» غير عابئين بتيار المعارضة الجارف . وقام السيناتور «جون ف . دينجان» بدمغ فلسفته ووصمها فوصفها بأنها «تنتهك الدين والدولة والعلاقات العائلية» . وجأر «دينجان» بالشكوى من النظريات الملحدة السائدة بين ولاة الأمور فى مجال التعليم فى مدينة نيويورك .

وأضاف هذا السيناتور أن إصرار مجلس التعليم الأعلى على تعيين «راسل» رغم كل مظاهر معارضة الرأى العام الشديدة أمر يدعو إلى القلق . وطالب «دينجان» بإجراءات تحريات شاملة فى نظم التعليم بمدينة نيويورك . وأقرت الهيئة التشريعية مقترحات السيناتور «دينجان» بعد إدخال بعض التعديلات الطفيفة عليها .

## اتهامات بالشذوذ

لم تكن هذه الإجراءات فى حقيقة أمرها تعدو أن تكون مناورات مبدئية تمهد للحرب الشعواء التى شنها أعداؤه عليه . فقد كانت أهم هذه المناورات على الإطلاق تلك التى قامت

بها سيدة من بروكلين اسمها «جين كاى» التى ظهرت فجأة على مسرح الأحداث فى مدينة نيويورك دون مقدمات إذ لم يسبق لها أن أبدت أى اهتمام بالشئون العامة ورفعت هذه السيدة بوصفها دافعة ضرائب قضية فى محكمة نيويورك العليا تهدف إلى إلغاء تعيين «برتراند راسل» فى منصب التدريس بكلية المدينة .

واستندت هذه السيدة فى عريضة الدعوى إلى شيئين أولهما أن «راسل» أجنبى ومن ثم ليس له حق فى العمل بالولايات المتحدة، والثانى أنه مدافع عن الفسق والانحلال الجنسى ، وأعلنت «جين كاى» أمام القضاء قلقها البالغ مما قد يصيب ابنتها «جلوريا» لو أنها تلقت العلم على يد هذا الرجل الفاسد وفيما بعد أضاف محامو هذه السيدة اعتراضين آخرين على تعيين «راسل» أولهما أنه لم يجتز امتحان مسابقة كما تقضى بذلك اللوائح . وثانيهما أن السياسة العامة فى الولايات المتحدة تتنافى مع إلحاق أى ملحد بوظيفة التدريس .

وكلت «مسز كاى» محاميا ينوب عنها لدى المحكمة اسمه «جوزيف جولد شتين» . وفى عريضة دعواه وصف هذا المحامى كتب «برتراند راسل» بأنها «فاسقة وداعرة وشهوانية ونكاحية ومصابة بلوثة الشبق ومثيرة ومشهية للجنس» ، ولم

يقف الأمر عند هذا الحد فقد ذكر هذا المحامى أن «راسل» قام بتنظيم مستعمرة للعراة فى إنجلترا وأن أطفاله كانوا يقومون بعرض أنفسهم عراة كما أن «راسل» نفسه اشترك مع زوجته فى عرض نفسيهما عاريين علنا وعلى مرأى من الناس ، وأضاف المحامى «جولد شتين» أن هذا الرجل المسن الذى يناهز السبعين من عمره يبدى اهتماما بالشعر الماجن الخليع . ولم يكتف «جولد شتين» بهذا النوع من التشنيع القاذع فقد أدعى أن «راسل» يغض الطرف عن الشذوذ الجنس ، بل الأدهى من هذا أنه يقره ويوافقه عليه . وأخيراً أصدر هذا المحامى حكمه الدامغ على مكانة «برتراند راسل» بين الفلاسفة فقال :

«إنه ليس فيلسوفاً بالمعنى المقبول لهذه الكلمة .. وهو ليس محباً للحكمة ولا باحثا عنها ، كما أنه ليس بالمستكشف لذلك العلم الكونى الذى يستهدف تفسير سائر ظواهر الكون عن طريق الوقوف على أسبابها الأولى .. وهو فى نظر الشاهد الحلف الماثل أمام المحكمة بل وفى نظر الكثرة من الناس الآخرين لا يخرج عن كونه سفسطائيا يمارس السفسطة . وهو يقوم عن طريق الحيل الماكرة والألاعيب وأساليب الخداع بل مجرد المراوغة بمحاولات زائفة لا تنهض على استدلال عقلى متزن . و هو يستخلص نتائج لا تستند إلى أسلوب حق

فى استنباطها من قضايا سليمة . إن كل المبادىء التى يزعمها والتى يطلق عليها اسم فلسفة إن هى إلا خزعبلات وقضايا مسفة رخيصته مهلهلة تهدف إلى تضليل الناس» .

## «راسل» يرد

والغريب فى هذا الأمر أن «الديلى نيوز» نشرت خبرا مفاده أن رافعة الدعوى «جين كاى » قد امتنعت – وكذلك زوجها ومحاميها – عن الإفضاء بأية معلومات من شأنها أن تلقى ضوءاً عمن يتحمل نفقات هذه القضية .

وفى بدء حملة التشهير لاذ الفيلسوف الكبير بالصمت وآثر ألا يدفع عن نفسه الاتهامات واكتفى بالتعقيب على هجوم الأسقف «ماتنج» المقذع بقوله : «لا أرغب فى الرد على هجوم الأسقف «ماتنج» . إن أى إنسان يعقد العزم فى شبابه على أن يفكر وألا يفوه بغير الحق على الرغم من كل مظاهر العداء التى تقابله وعلى الرغم من التحريف وإساءة التصوير يتوقع مثل هذه الهجمات وسرعان ما يعلم أن أفضل سبيل يسلكه هو تجاهلها» .. وقال «راسل» إنه شاء الصمت الذى يكاد يكون مطبقا ، وآثر عدم الاشتراك فى النقاش المحتدم حول تعيينه بجامعة المدينة لأنه كان يعتقد أنه ليست هناك ثمة علاقة بين آرائه فى هذا الأمر وبين مسألة تعيينه المختلف عليها.

ولكنه أضاف أنه يرى نفسه مضطراً إلى الخروج عن هذا الصمت أمام وابل الاتهامات الباطلة التى يكيلها له معارضوه فى ساحة القضاء . قال «برتراند راسل» فى هذا الصدد : «ولكن عندما تذاع بيانات باطلة عن أفعالى تتصف بالبهتان الصارخ فى قاعة المحكمة أشعر أنه يتعين عليها أن أكذبها . إننى لم أنظم مستعمرة للعراة فى إنجلترا على الإطلاق ، كما أنه لم يحدث أننى وزوجتى اشتركنا سويا فى عرض أنفسنا عراة علنا أمام الناس .. وإننى لم أبد مطلقا اهتمام بالشعر الخليع . هذه الاتهامات أكاذيب مقصودة يجب أن يعرف الذين يوجهونها أنها لا تستند إلى أى أساس فى الواقع ، وسأكون مسروراً إذا أتيحت لى فرصة قسم اليمين عى بطلانها» .

## حكم جائر

ونظرت هذه القضية فى محكمة نيويورك العليا أمام القاضى «رماك جيهان» وأدلى «نيكولاس بوتشى» بشهادته فى المحكمة كممثل لمجلس التعليم الأعلى . وعبثا حاولت المحكمة أن تزج به فى نقاش حول آراء «راسل» الشريرة الفاسدة أو عدم كفاءته فقد أصر «بوتشى» أن يقصر شهادته على الجانب القانونى من القضية التى تداولتها المحكمة ويتلخص فى اعتبار تعيين «راسل» فى جامعة أمريكية عملاً

غير قانوني بوصفه أجنبياً عن البلاد . وأنكر «بوتشى» عدم قانونية التعيين وأكد أنه نص فى القانون غير معمول به ، كما طلب من هيئة المحكمة رفض الدعوة المقدمة إليها . لكن القاضى ماك جيهان أجابه بطريقة تنذر بالشر أنه إذا وجد فى كتب راسل مايؤيد صحة الاتهامات الموجهه إليه فلن يقف الأمر عند هذا الحد . وهذه الكتب التى أشار إليها القاضى هى التى أوردها المحامى «جولد شتين» فى عريضة الدعوى التى أقامها «برتراند راسل» وهى «التعليم والحياة الطيبة» و«الزواج والأخلاق» و«التعليم والعلام الحديث» و«أؤمن به» .

وبعد انقضاء يومين وفى ٣٠ مارس (١٩٤٠) على وجه التحديد نطق القاضى «ماك جيهان» بالحكم . قال القاضى إنه أقام حكمه على «أنماط ومبادىء» هى فى واقع الأمر قوانين الطبيعية .. الطبيعة التى خلقها الله» . وتضمن حكم القاضى إلغاء تعيين «برتراند راسل» فى وظيفة مدرس للفلسفة بجامعة مدينة نيويورك ووصف القاضى هذا التعيين ، كما وصفه الخطباء من رجال الدين من قبل بأنه إهانة لأهل مدينة نيويورك .

وأضاف القاضى أن مجلس التعليم الأعلى بتعيينه «برتراند راسل» إنما ينشىء فى واقع الحال كرسيا لقلة الحياء كما وصف تصرف هذا المجلس بأنه تعسفي وطائش

وقائم على النزوات وأنه انتهاك صريح للأمن العام والصحة العامة والأخلاق العامة . وأيد القاضى حق المدعية فى إقامة دعواها وحقها فى استصدار أمر من المحكمة بإلغاء تعيين المدعو «براتراند راسل» وقد اعترف القاضى كما ورد فى جريدة «الصنداى ميرور» بأن حكمه كان فى عنفه وتفجره بمثابة «الديناميت» .

## «ديوى» يشكك فى الحكم

وأشارت «جريدة الجمهورية الجديدة» إلى السرعة البالغة التى أصدر بها القاضى حكمه ، ووصفتها بأنها بسرعة تفوق سرعة البشر وأبدى الفيلسوف الأمريكى المعروف «جون ديوى» شكه فى أن يكون القاضى قد قرأ بالفعل الكتب التى أوصى محامو الادعاء «جوزيف جولد شتين» المحكمة بقراءتها . كان من الواضح أنه يتعذر على أى إنسان أن يفرغ من قراءة هذه الكتب ودراستها دراسة وافية فى ظرف يومين فما بالك بكتابة تقرير مستفيض عنها كتبه القاضى فى هذه المدة الوجيزة وكان من الواضح أيضاً أن القاضى «ماك جيهان» لايراعى أبسط قواعد العدالة ، أو الذوق . فقد أصدر حكمه دون أن يكلف خاطره عناء الرجوع إلى «براتراند راسل» نفسه حتى يتأكد من أن الصواب لا يجانبه عند تفسيره . لآرائه ، وحتى يتأكد أن فهمه لا يغاير حقيقة قصد الفيلسوف.

لقد بلغ تجاوز القاضى لحدود الذوق العام الدرجة التى أغفل معها شهادة نيكولاس بوتشى ، ممثل مجلس التعليم الأعلى الذى أصدر قراره بتعيين «برتراند راسل» وزعم القاضى أن «بوتشى» قد أبلغ المحكمة أنه لن يدلى بشهادة أمامها . وأقسم «بوتشى» على بطلان هذا الزعم . وأنكر إنكاراً تاما وأضاف أنه فهم من القاضى أن المحكمة لن تسمح له بالإدلاء بوجهة نظر مجلس التعليم الأعلى إلا إذا أنكر أنه طلب من المحكمة رفض النظر فى القضية .

لقد تخلل محاكمة «براتراند راسل» فى نيويورك الكثير من المخالفات القانونية الصارخة . ولكن هذه المخالفات تهون وتتضاءل أمام سيل الهجوم الشديد الذى تضمنه حكم المحكمة ضده . إن نص هذا الحكم إن دل على شيء فإنما يدل على مايمكن أن ينحدر إليه القضاء فى دولة تزهو بحريتها وديمقراطيتها وخاصة عندما يؤازره الساسة ذوو النفوذ والسلطان . لقد استطاع القضاء الأمريكى فى قضية «راسل» أن يمسخ الحقائق ويشوهها بطريقة سافرة للغاية . وكان القاضى «ماك جيهان» يتلمس السبل لإدانته بكل الطرق ومن بينها استشهاده عمداً ببعض الفقرات من كتاباته دون ذكر السياق الذى وردت فيه وعرضها بشكل شائه مبتور من شأنه أن يصل إلى نتائج وآراء تتناقض تماماً وما يرمي إليه الفيلسوف الكبير .

## قصور فى أسباب الحكم

استند القاضى فى إصدار حكمه الذى يقضى بإلغاء تعيين «برتراند راسل فى جامعة مدينة نيويورك إلى ثلاثة أسباب: أولها أن «راسل» أجنبى وثانيها أن الجامعة لم تعقد له امتحان مسابقة كما تقضى القواعد بذلك، وثالثها أن آراءه فى الأخلاق هدامة وتشكل خطراً داهماً على الأخلاق العامة.

ولنبحث الآن ما ورد فى حكم القاضى بالتفصيل بالنسبة لهذه النقاط الثلاث: فبالنسبة للسبب الأول ذكر القاضى أن قانون التعليم الأمريكى ينص على أنه لا يحق لأى فرد أن يزاول مهنة التدريس« فى مدارس الدولة العامة إذا كان لا يحمل الجنسية الأمريكية. ولكن القانون أباح للأجنبى حق الاشتغال حتى فى المدارس إذا كان يعتزم التجنس بالجنسية الأمريكية. لقد جانب القاضى الصواب فى عدة أمور فيما يتعلق بهذا السبب «أولاً» لأن القانون ينص صراحة على الاشتغال بمدارس الدولة ولا يشير إلى الجامعات فلو طبق هذا النص بالفعل لكان معناه الاستغناء عن خدمة جل الأساتذة الذين يشتغلون بالتدريس فى جامعة مدينة نيويورك لأنهم أجانب ولأنهم لم يتخرجوا من مدارس تابعة للدولة ثم لأنهم لم يحصلوا على تصريح من السلطات التعليمية قبل

التحاقهم بوظائفهم. «ثانياً» لأنه لا يحق للقاضى أن يتكهن بأن «برتراند راسيل» لا يعتزم طلب الجنسية الأمريكية «ثالثاً» لأن القاضى كان دائب القول بأن شخصية «راسل» فاسدة. ولو كان اتهام القاضى «برتراند راسل» صحيحاً لكانت إدارة الهجرة والجوازات قد طلبت منه مغادرة البلاد.

أما السبب الثانى فى إلغاء تعيين «راسل» ففحواه أنه لم يجتز- كما تقتضى اللوائح والقوانين التعليمية- امتحان مسابقة يؤهله لشغل الوظيفة الشاغرة، ولا شك أن هذا السبب مجرد ذريعة لا أكثر ولا أقل فالقانون ينص صراحة على تخويل مجلس التعليم الأعلى سلطة التعيين إذا لم يكن فى الإمكان من الناحية العلمية عقد امتحان مسابقة للمرشحين للتدريس فى الجامعة. ولو كان امتحان المسابقة ضرورة قانونية لكان معنى هذا التخلص من عدد كبير من أساتذة الجامعة فى مدينة نيويورك لعدم قانونية تعيينهم، ولاستحقت الجهات التعليمية المسئولية توقيع العقاب عليها لمخالفتها الصريحة للوائح والقوانين لسماحها لمثل هذا العدد الكبير بمباشرة التدري« فى الجامعات دون استيفاء مسوغات التعيين القانونية.

أما السبب الثالث والأخير- وهو أجل الأسباب وأخطرها

جميعاً- الذى استند إليه القاضى فى إلغاء التعيين فيتلخص فى كون «برتراند راسل» شخصية منحلة فاسدة، وقد اعترف القاضى أن هذا السبب الأخير هو أقوى سبب حمله على إلغاء تعيين «برتراند راسل» على الإطلاق . وفى الحكم الأخير الذى أصدره «ماك جيهان» هاجم أخلاق راسل الخاصة واستعمل فى هجومه لغة عنيفة قاسية ووصمه بأقذر النعوت.

وحتى يدلل على فساد راسل الأخلاقى أورد القاضى فى حكمه بعض المقتطفات من كتاباته ومنها أنه يقول فى كتابه «التعليم والعالم الجديث»: «إننى واثق من أن الحياة الجامعية ستكون أفضل من الناحية الفكرية والعقلية إذا عقد معظم الطلبة زواجاً مؤقتاً يمتنعون فيه عن إنجاب الأطفال.. وسيكون هذا حلاً للدافع الجنسى بدلاً من إرضائه بطريقة غير مستقرة وفى السر والخفاء وبدلاً من العلاقات المأجورة والموقوتة. وطبيعة هذه العلاقات الثابتة أنها لا تستنزف الوقت الذى يجب تكريسه للعمل».

واقتطف القاضى فقرة أخرى من كتاب «الزواج والأخلاق» يقول فيها «راسل»: «فى رأيى رغم أنى شديد الاقتناع بأن زواج الصدفة والتجربة سيكون خطوة فى الاتجاه السليم وأنه سيؤتى ثماره الطيبة، غير أننى لا أعتقد أنه يبلغ المدى

المنشود بل أعتقد أنه يجب اعتبار سائر العلاقات الجنسية مسائل شخصية محضة طالما أنها لا تنتهى بإنجاب الأطفال فى إعقابها. وإذا عن لرجل وامرأة أن يعيشا سوياً دون زواج ودون إنجاب أطفال ، فهذا شأنهما وحدهما وليس لأحد أن يتدخل فيما ارتضياه. وأرى أنه من المستحسن ألا يقدم رجل أو امرأة على الزواج الجاد.

كما أورد القاضى فى صلب الحكم الذى أصدره فقرة من كتابه «ما أؤمن به» يقول فيها «راسل»: ««إن الأهمية الغريبة التى نضيفها فى الوقت الحاضر على الزنا مسألة لا يقبلها العقل على الإطلاق» ثم عاد القاضى إلى اقتباس فقرات من كتب «راسل» يؤيدها وجهة نظره فأشار إلى أنه يدافع فى كتابه «التعليم والحياة الطبيعية» عن العادة السرية: «إذا تركت لشأنها فليست للعادة السرية عند الغلمان فيما يبدو أى أثر سيىء على الصحة كما أنه لم يكتشف أن لها أثراً سيئاً على الشخصية، ويبدو أن الآثار السيئة التى لوحظت فى كلتا الحالتين راجعة تماماً إلى المحاولات المبذولة لوقفها.. ولذا ينبغى رغم الصعوبة التى تكتنف هذا الموضوع أن يترك الغلام لشأنه فى هذا الأمر".

وأضاف القاضى أن «راسل» يحبذ الزنا فى نفس ا لكتاب

فهو يقول: «إننى لن أقوم بتعليم الناس أن الإخلاص لشريك حياتنا مدى الحياة أمر مرغوب فيه بأى حال من الأحوال أو أن الزواج الدائم يعنى استبعاد المغامرات الغرامية المؤقتة".

كما ذكر القاضى أن «راسل» يدافع عن مذهب العرى ويستشهد على ذلك بما كتبه فى نفس الكتاب: «ينبغى أن يسمح للطفل فى بادئ الأمر أن يرى والديه وأخوته عراة كلما سنحت الفرصة بذلك بطريقة طبيعية، مع مراعات تجنب اللغط فى هذا الموضوع على أية حال وينبغى عليه ببساطة ألا يدرك أن الناس يشعرون بأى شئ غير عادى عندما يجابهون العرى.

وأخيراً أشار القاضى من طرف خفى إلى أن «راسل» يدافع عن الشذوذ الجنسى مستشهداً بقوله فى كتابه " التعليم والعالم الحديث»: «من الممكن ألا تكون العلاقات الجنسية الشاذة بين الصبية ضارة للغاية إذا سمح بإقامتها ولكن حتى مع السماح بها فيخشى أن هناك خطراً من أنها ستعطل الحياة الجنسية الطبيعية فيما بعد.

ولعل أبشع الاتهامات جميعاً هى أن «برتراند راسل» يشجع فى كتاباته ممارسة الشذوذ الجنسى. وهذا الاتهام يغاير الواقع كل المغايرة. كل ما هنالك أنه قال حين تعرض

لهـذا الموضـوع فـى كـتـابـه «الزواج والأخـلاق» إن القـانون الإنجليـزى الخـاص بالشـذوذ يجـافـى أحكام العـقل والمنطق ويقوم على الخزعبلات والجهل والوحشية.. فالقانون الإنجليزى ينص على معاقبة الشذوذ الجنسى بين الرجال بينما يستثنى النسـاء من العـقـوبة فى نفس الوقت ولا يجـرؤ أحـد للتعـرض لهذا التناقض الصارخ وإلا اتهم بالإباحية والتهتك.

واعـتـراض «راسل» على القـانون الإنجليـزى الخـاص بالشذوذ الجنسى ينهض على الوحشية التى تيمضنها عقاب الشـواذ ولا يعنى مطلقـاً أن «راسل» يحـرض الناس على ممارسة الشذوذ الجنسى كما أنه لا يعنى أنه يشجعهم على انتـهـاك قـانون العـقـوبات. كل مـا يعنيـه هـذا القـول هو أن «راسل» يبدى اعتراضه على طبيعة هذه القوانين ويتشكك فى جدواها وهذا ما تعمد القاضى إغفاله إغفالاً تاماً.

## يتفق مع رجال الدين

وإذا كـان مـوقف «راسـل» من هـذه القـوانين ينطوى على الفسق والانحلال فما بالك ببعض رجال الدين من الكاثوليك أنفسهم الذين يشتركون معه فى نفس الرأى؟ فـفى الماضى القـريب اجـتـمـعت لجنة من الروم الكاثوليك تضم طائفـة من رجـال الدين والعلمـانيين واقـتـرحت هذه اللجنة على وزارة

الداخلية الإنجليزية تعديل القانون الخاص بالشذوذ الجنسى واعتبار الشذوذ بين الكبار من الذكور مسألة شخصية بحتة.

وقالت هذه اللجنة الكاثوليكية فى عام ١٩٥٦ إن توقيع عقوبة الحبس فى جرائم الشذوذ الجنسى عديم الجدوى فى أغلب الأحيان . وكثيراً ما تكون له عواقب عكسية وخيمة على المعاقين فيما بعد ، ومع ذلك فلم تتعرض اللجنة التى قالت هذا للمحاكمة.

وفيما يختص بقول القاضى بأن «برتراند راسل» يدافع عن الزنا فهو زعم لا ينهض على صحته دليل كل ما يقوله فى هذا الصدد إنه يوافق على إقامة علاقة جنسية مستقرة منتظمة دون عقد زواج بشرط أن يجمع الحب بين الطرفين وذلك تجنباً لعلاقات الزنا المبتورة القائمة الى التجارة بالحب والعواطف .. وفى رأيه أن العلقات الجنسية هى من حميم خصوصيات حياة الأفراد ولا دخل لأجهزة الدولة فيها.. وقد أوضح الفيلسوف فى بيان أصدره ولكن القاضى تعمد إغفاله أن ما يدعو إليه شئ يختلف عن التحريض على الزنا. والقضاء الأمريكى فى واقع الأمر يتجاوز عن تطبيق القوانين الخاصة بالزنا بحذافيرها ويغض الطرف عنها فالقانون يعاقب زنا المحصن بالحبس، ولكن القضاة فى أنحاء الولايات

المختلفة يكتفون بتوقيع حكم الطلاق حتى ولو كانت جريمة الزنا ثابتة. وهذا ما فعله ماك جيهان عندما كان قاضياً، فى مقاطعة برونكس.

وفى معرض حديثه عن دفاع «راسل» عن العرى لم يذكر القاضى أن «راسل» يريد أن يتم العرى بطريقة طبيعية للغاية. وهدفه من ذلك ألا يشعر الطفل أن هناك سراً لا يسبر غوره يقبع فى بعض أعضاء الجسم فإحساس الطفل بهذا السر الكامن هو المسئول عن توليد الرغبات الشهوانية والشعور بالفحش والبذاءة، فى هذه الأعضاء ويقول «راسل» فى هذا الشأن إنه من المحتمل أن يظهر الطفل فى الثالثة من عمره دهشة وحباً للاستطلاع لتبين الفروق فى تركيب الأعضاء بين الجنسين، ولكن هذه الدهشة ستؤول إلى الاختفاء عندما يتعود الطفل النظر إلى الأجسام والفروق بينها على أنها أشياء طبيعية. وهناك سبب صحى يدعو «راسل» للأخذ بمذهب العرى فقد دلت ملاحظته أن الأطفال فى الريف الذين يلعبون وهم عراة أرشق وأنشط فى حركاتهم مما لو كانوا يرتدون الملابس. وفى رأيه أن شعور الإنسان بأشعة الشمس وهى تلمس جسمه العارى يكسب الجسم صحة وعافية.

وفوق هذا كله تعمد القاضي ماك جيهان عرض موقف «برتراند راسل» من العادة السرية في صورة شائنة ومنفرة. فقد صوره على أنه يحبذ ممارسة هذه العادة فى حين أن كل ما قاله «راسل» فى هذا المجال إنه يعترض فقط على محاولة وقفها بطرق المنع المباشرة التى تنطوى على الكبت والزجر فهو يحبذ محاولة وقفها بطرق غير مباشرة وأكثر سلامة من ناحيةالصحة النفسية. وقد علقت جريدة الجمهورية الأمريكية على موقف القاضى غير العلمى فوصفته بأنه يدل على جهله بجيل كامل من الفكر العلمى فى ميدان الطب وعلم النفس.

وتغافل القاضى ذكر حقيقة واضحة وهى أن «راسل» يعالج هذه الموضوعات بطريقة جادة للغاية وبأسلوب العالم الذى لا يستهدف الإثارة.

## نظرة أخلاقية جديدة

إن راسل لا يهدف إلى تدمير كافة القيود الأخلاقية كما يسعى أعداؤه إلى تصويره بل إنه يهدف إلى خلق نظرة أخلاقية جديدة تتداخل فيها عوامل العطف والرحمة والإشفاق والإنسانية لقد كتب «راسل» كلاماً فى هذا الشأن أغلب الظن أن القاضى ماك جيهان الذى حاكمه لم يطلع عليه على الإطلاق. فلو كان قد اطلع عليه لما وصم كاتبه بالانحلال أو

رماه بالدعارة كتب الفيلسوف يقول بالحرف الواحد: «إن الجنس لا يستطيع أن يستغنى عن الأخلاق كلية كما لا يستطيع العمل أو الرياضة أو البحث العلمى بل أى فرع من فروع النشاط الإنسانى أن يستغنى عن الأخلاق ولكن الجنس يستطيع أن يستغنى عن أخلاق قائمة تماماً على أساليب الكبت القديم التى صاغها أناس غير متعلمين فى مجتمع يغاير مجتمعنا مغايرة تامة، ومازالت أخلاقيات الجنس شأنها فى ذلك شأن الاقتصاد والسياسة تسيطر عليها المخاوف التى أوضحت الاكتشافات الحديثة أنها لا تستند إلى العقل».

والأخلاق التى ينبغى أن أدافع عنها لا تتلخص فى أن تقول ببساطة للكبار والمراهقين: «اتبعوا أهواءكم وافعلوا ما يحلوا لكم»؟ أن يكون هنالك انسجام فى الحياة لابد أن تكون هناك مجهودات متصلة تهدف إلى تحقيق غايات لا يجنى المرء منها نفعاً مباشراً ولا تكون مبعثاً. للمتعة فى كل لحظة من اللحظات يجب مراعاة إدخال الآخرين فى الاعتبار كما يجب أن تكون هناك مقاييس خاصة بالخلق القديم».

وفى رأى «برتراند راسل» كما هو واضح من كتاب «الزواج والأخلاق» أن العلاقات الجنسية يجب أن تنهض على أساس الحب العميق الجاد بين الرجل والمرأة، الحب الذى

يؤلف بين شخصيتى الجنسين ويصهرهما فى سبيكة واحدة متكاملة منسجمة ومن شأن هذه الوحدة وهذا الاندماج أن يزيد من شخصية الطرفين غنى وخصوبة، بالإضافة إلى ذلك فهو يولى مشكلة إنجاب الأطفال اهتماماً بالغاً من الناحيتين النفسية والجسمية، لقد دأب الفكر المغرض على تصوير «برتراند راسل» على أنه يتناول المعاول لتحطيم نظام الزواج بينما الواقع يكذب هذا الزعم فهو ينظر إلى الزواج على أنه «أحسن وأهم علاقة يمن أن تنشأ بين اثنين من البشر، وهو شديد الإصرار على أن يكون الزواج أكثر جدية عن مجرد المتعة التى ينغمس فيها اثنان فى حجرة بعضهما البعض. إنه تنظيم يشكل - بحكم إنجاب الأطفال - جانباً من نسيج المجتمع الذى تشيع فيه الألفة وله أهميته التى تمتد حتى تتجاوز مشاعر الزوجين الخاصة.

لقد كان القاضى يتذرع لإلغاء تعيين «برتراند راسل» بأن شباب الجامعة وخاصة من هم دون الثامنة عشرة سيتأثرون حتماً بآرائه الهدامة وبأنهم سينحرفون عن الطريق القويم ويرتكبون سائر الجرائم والموبقات الجنسية ولو كلف القاضى خاطره واطلع على التقارير المكتوبة عن «راسل» عندما مارس التدريس فى إنجلترا والصين والولايات المتحدة لما تورط فى

هذا الشطط ولأدرك أن كل المعاهد العلمية التى عمل فيها تحمل له أرفع آيات الإكبار والإعجاب والتقدير . ولكن القاضى شاء أن يغفل هذه التقارير رغم أنها كانت تحت تصرفه في أى وقت.

وفى الوقت الذى تعرض فيه الفيلسوف العظيم لحملات التشهير أبرق لفيف من مديرى الجامعات التى سبق لـ«راسل» أن اشتغل فيها يؤيدون تعيينه ويكيلون له الثناء والمديح على ما قام به من خدمات تعليمية جليلة وتطوعت «مارجورى نيكلسوم» عميدة كلية سميث بإصدار بيان ذكرت فيه أنها حضرت سلسلة من المحاضرات التى ألقاها «راسل» فى المجلس البريطانى للدراسات الفلسفية ولم يتعرض فيها الفيلسوف مطلقاً لآرائه الخاصة فى الزواج والطلاق والإيمان والإلحاد. فقد كان كلامه قاصراً على تدريس الفلسفة الصرفة وأضافت «مارجورى» أنه لم يكن ليتسنى لها أن تعرف شيئاً خلال هذه المحاضرات عن أراء راسل الخاصة لو لم تتعرض لها الصحافة بالمبالغة والتهويل.

## حملات تأييد

عندما أصدر القاضى ماك جيهان حكمه ضد «برتراند راسل» منى المشايعون له بخيبة أمل شديدة. ولكن الغبطة

الجارفة عمت معارضيه. وكان أخشى ما يخشاه أصدقاؤه أن يحجم مجلس التعليم الأعلى بضغط من الساسة ذوى النفوذ عن استئناف هذه القضية أمام محاكم أعلى، وأثبتت الأحداث أن هذا التخوف كان ينهض على أساس من الواقع. ولكن أصدقاء حرية الفكر لم يسكتوا عن اضطهاد الفيلسوف السافر المشين وهبوا يذودون عنه فاجتمع فى مدينة شيكاغو المجلس القومى للجمعية الأمريكية لأساتذة الجامعة. وأجمع أعضاء المجلس عن بكرة أبيهم على إصدار قرار يستحثون فيه «لاجارديا» عمدة مدينة نيويورك ومجلس التعليم الأعلى لمحاربة الحكم الذى أصدره القاضى ماك جيهان ضد «برتراند راسل». وتوالى تأييد راسل من مختلف الهيئات العلمية ومن بينها الجمعية الأمريكية للباحثين العلماء وجمعية التعليم العالى، وتشكلت لجنة خاصة تبنت الدفاع عن قضية حرية البحث العلمى، وأطلقت هذه اللجنة على نفسها «لجنة برتراند راسل» للدفاع عن الحرية الأكاديمية تحت رئاسة بعض كبار أساتذة الجامعات واشترك فى حملة الدفاع عن الفيلسوف المضطهد لفيف من أئمة العلماء والمفكرين فى كل أنحاء أمريكا. وأرسلت جمعية الحرية الثقافية برقية إلى «لاجارديا» عمدة المدينة ورد فيها أن القاضى أظهر راسل

بمظهر مشين. وأضافت اللجنة أن هذا الاتهام الصارخ لا أساس له من الصحة إذ أنه من السهل جداً إثبات خطل هذا الزعم عن طريق الرجوع إلى شهادة مديرى الجامعات الأمريكية التى باشر راسل الديموقراطية والحرية الفكرية اجتماعاً للاحتجاج على قرارات القاضى ماك جيهان المجحفة. وتوالى فى الاجتماع خطباء لهم وزنهم العلمى وأعربوا عن احتجاجهم على هذا الوضع الشائن. وحتى فى جامعة مدينة نيويورك نفسها التى كان من المقرر تعيين «راسل» فيها عقد اجتماع حافل كبير خطب فيه عديد من الشخصيات الجامعية البارزة وأعربوا عن سخطهم الشديد على المعاملة التى عومل بها رجل الفكر العظيم وذكر أحد الخطباء من رجال الفكر فى الجامعة أنه إن لم تتمتع أية جامعة تنفق عليها الدولة بحرية البحث العلمى لانتهى الأمر بتوقف التقدم الفكرى فى الحياة الأمريكية.

لقد كان القضاء الأمريكى نفسه فى بعض الجهات الأخرى من الولايات المتحدة أكثر كرماً.وأشد رحابة صدر مع «برتراند راسل» فعندما كان «راسل» يدرس بجامعة كاليفورنيا اعترض عليه قسيس سابق وتقدم فى ٣٠ إبريل إلى محكمة الاستئناف فى لوس أنجلوس يطلب فيها التخلص

من «برتراند راسل» وتنحيته من جامعة كاليفورنيا نظراً لمبادئه الهدامة. ولكن المحكمة قضت رفضاً باتاً أن تنظر في هذا الطلب وأهملته تماماً كأن شيئاً لم يكن.

## قاض مثقف

لسنا بحاجة إلى القول بأن حكم القاضي ماك جيهان قد قوبل بالثناء العاطر من المعارضين لـ«برتراند راسل» الذين مجدوا بطولة وشرف هذا الحكم الجائر. ووصفت جريدة اليسوعيين الأسبوعية القاضي بقولها إنه أمريكي حق فيه رجولة الأمريكي الصميم وقوته. وهو فوق كل هذا قاض شريف ونظيف وثقة من ثقات القانون وذكرت الصحافة المؤيدة للقاضي أنه متدين فعلاً وروحاً، وأضافت أن «برتراند راسل» جانبه الصواب عندما وصف القاضي بأنه شخص جاهلي للغاية فهذا يغاير الواقع تماماً. إن عقل ماك جيهان وقاد ولامع في الدراسات الكلاسيكية فهو يقرأ هوميروس في صه الإغريقي كما يستمتع بهوراس وشيشرون في أصلهما اللاتيني وذهب تحمس رئيس جمعية المدرسين الكاثوليك للحكم الصادر ضد راسل لدرجة أنه وصفه بأنه «نصر مجيد في تاريخ لقضاء ونصر عظيم لقوى الاحتشام والأخلاق كما

أنه انتصار للحرية الأكاديمية الحقة».

وبدا من الواضح من المحاكمة أن «برتراند راسل» ليس بالشخص الوحيد الذى يستحق توقيع العقوبة عليه فغالبية أعضاء مجلس التعليم يستحقون إنزال العقوبة بهم لأنهم جميعاً مشتركون فى مسئولية تعيينه، واحتشدت قوى اليمين فى أمريكا وعقدت اجتماعاً تعاقب فيه الخطباء. وفى هذا الاجتماع هوجم جون ديوى ومسز فرانكلين د.روزفلت لتبشيرها بمذهب التسامح السقيم. وفى نفس الاجتما ع خطب رئيس اللجنة القومية للانتعاش الدينى وندد بأغلبية أعضاء ملجس التعليم الأعلى ووصفهم بأنهم منحلون وطالب بطردهم من مراكزهم وأستبدالهم بأناس آخرين مازالوا يؤمنون بوطنهم ودينهم. ونهض «تشارلس كيجان» الذى سبق له أن سب «راسل» فاتهمه هذه المرة بالطابور الخامس الذى ساعد النازيين على إحراز انتصاراتهم واتهم بأنه يشيوعى ما فى ذلك ريب. وطالب هذا الرجل بطرد أعضاء مجلس التعليم الأعلى وتعيين أناس أفضل يخدمون مدينتهم بشرف أكبر. وفى الوقت نفسه قام اليمينيون بحملة ضخمة واسعة النطاق لتوعية الأمريكان بالمدلول الحقيقى لكمة الحرية.

## «نيويورك تايمز» تبدأ الدفاع

كان موقف جريدة النيويورك تايمز من قضية «برتراند راسل» موقفاً لا يتفق بحال من الأحوال مع السياسة العامة المتحررة التى تفخر هذه الجريدة باتباعها. ففى المحنة التى اجتازها الفيلسوف تعمدت هذه الجريدة أن تلوذ بالصمت المطبق وامتنعت عن الإدلاء بأى تصريح، كما امتنعت عن التعليق على الموقف أثناء المحاكمة. ولكن بعد انقضاء ثلاثة أسابيع على محاكمة «راسل» ظهرت هذه الجريدة فى عددها الصادر بتاريخ ٢٠ إبريل متضمنة خطاباً من مستر تشيسى مدير جامعة نيويورك يهاجم فيه موقف القاضى «ماك جيهان» كما بين الخطورة التى تنطوى عليها هذه المسابقة بالنسبة لحرية الفكر الأمريكى وتهديدها لاستقلال الجامعات والمعاهد العليا. ولم تجد هذه الجريدة مناصاً من الاشتراك فى المعركة المحتدمة حول تعيين «برتراند راسل» فكتبت مقالاً افتتاحياً تقول فيه إنها تنظر إلى ما حدث فى هذا الموضوع بعين الأسى والألم. ولكن الجريدة أنحت على «راسل» باللائمة لقبوله الوظيفة فى مثل هذه الظروف وأضافت أن الحكمة كانت تقتضى منه الامتناع عن قبولها إذ كان واضحاً أنها ستثير عليه ثائرة وحنق قطاعات ضخمة من الأمريكان. صحيح أن «راسل» أستاذ مشهود له بالكفاءة والعلم الغزير

ولكن السخط العام الذى تثيره آراؤه فى الأخلاق يدل بوضوح على قصر نظر مجلس التعليم الأعلى فى تعيين «راسل» أصلاً وقصر نظر «راسل» نفسه لقبوله هذا التعيين فيما بعد. فلو كان على قدر كاف من الحكمة لقرر الانسحاب الصامت من مسرح الأحداث.

وكتب «برتراند راسل» رسالة إلى جريدة النيويورك تايمز بتاريخ ١٦ إبريل قال فيها أن انسحابه فى الواقع كان أمراً تقتضيه الحكمة لو أنه كان يبغى راحته الخاصة. فقد كان هذا الانسحاب سيوفر عليه شقاءه وألمه فى هذه التجربة المريرة. وأوضح «راسل» السبب الذى دفعه لعدم التنحى عن هذه الوظيفة والصمود أمام تيار الرأى العام الجارف فقال إنه صمم على عدم التنحى لشعوره الدائب بأن انسحابه سيكون بمثابة خذلان لقطاع من الأمريكان المؤمنين بحرية الفكر والمناضلين من أجل حرية الكلمة، فقد كان هؤلاء الناس يضعون رجاءهم فى استمراره فى المقاومة والوقوف أمام تيار المعارضة العاتى.. إن التراجع فى نظره كان يعنى الجبن والأنانية والتسليم بحق المعارضة الكبيرة العدد فى استبعاد القلة من الناس التى لا تميل إليها من وظائف الدولة العامة بسبب آرائها فى عنصرها أو جنسيتها.

وفى هذا الخطاب أشار «برتراند راسل» فى فخر وزهو إلى الدور العظيم الذى لعبه جده «جون راسل» فى مطلع القرن التاسع عشر فى تأكيد حقوق الأقليات الدينية وتدعيم مصالحها فقد استطاع اللورد «راسل» أن يخلص إنجلترا من القوانين السائدة التى تقوم على التحيز والتمييز بين الطوائف الدينية المختلفة، كان القانون الإنجليزى يحرم على أى إنسان الاشتغال بالوظائف العامة إلا إذا كان عضواً فى كنيسة إنجلترا وكان هذا القانون بطبيعة الحال ينطوى على إضرار بمصلحة الأقليات من الطوائف الخارجة على كنيسة إنجلترا.

وختم «برتراند راسل» خطابه بقوله إن الروح الديموقراطية الحقة تتخلص فى أن تتعود الأغلبية على أن ترى عواطفها تمتهن دون أن يكون هذا الامتهان سبباً فى استيلاء سورة الغضب عليها، مما يجعل التسامح مع الأقلية التى تسىء إلى شعور الأغلبية شيئاً مستحيلاً.

## مؤامرة محبوكة

من الأمور التى تدعو إلى الأسف أن عمدة مدينة نيويورك «لاجارديا» والقاضى «ماك جيهان» بذلا قصارى جهدهما للحيلولة دون استئناف هذه القضية أمام محاكم أعلى. وتفتق ذهنا العمدة والقاضى عن حيلة ماكرة لتفويت كل فرص

العـمل علـى «برتراند راسل»، إبعـاده عن منـصب التـدريس بكافة الطرق. وكان مسلك العمدة يتصف فى مظهره بالبراءة والسذاجة ولكنه كان يحمل السم الزعاف فى طياته. فقد عمد العمدة إلى شطب ميزانية كرسى الفلسفة الشاغر الذى كان «راسل» يزمع شغله. وعندما نشرت الميزانية العامة لجامعة مدينة نيويورك لاحظ بعض المراقبين اختفاء ميزانية الوظيفة التى احتدم الخلاف حولها. فما الذى حدا بالعمدة أن يفعل هذا؟ كان العمدة يريد أن يتأكد من أن «راسل» لن يعود إلى وظيفته بجامعة مدينة نيويورك حتى لو كان حكم الاستئناف فى صالحه. وبلغ اضطهاد «برتراند راسل» مدى أبعد وأعنف فقد اشترط المسئولون فى جهات جامعية أخرى استبعاد ترشيحه عند تقرير ميزانيات الجامعات والمعاهد العلمية العليا.

وبطبيعة الحال استاء مجلس التعليم الأعلى من تدخل العمدة فى شئون المجلس الخاصة على هذا النحو السافر، كما استاء من الحيلة التى لجأ إليها لضمان استبعاد «راسل» من التدريس بالجامعة، وأراد المجلس أن يستأنف القضية مهما كانت الظروف. ورفض الممثل القضائى للمجلس أن يتحرك للاستئناف القضية رغم عدم اقتناعه بعدم قانونية حكم

القاضى «ماك جيهان» وعدم شرعية الإجراءات التى اتخذها العمدة، ونصح المسئولين فى المجلس بأن يقفوا بالقضية عند ذلك الحد نظراً لطبيعة القضية الحساسة التى تهيج خواطر الناس وتثير حفيظتهم وأمام خذلان الممثل القضائى الرسمى لمجلس التعليم الأعلى اضطر المجلس إلى البحث عن محامين من الخارج يتولون المرافعة فى محكمة الاستئناف وتطوعت شركة أمريكية من المجلس للدفاع عن «راسل» مجاناً. ولكن القاضى فى محكمة الاستئناف رفض أن يعترف بهذه الهيئة الدفاعية الجديدة بدلاً من المندوب القضائى الرسمى الذى ينوب عن مجلس التعليم الأعلى.

## مصلحة قانونية

وبهذه الخطوة بات واضحاً أن المؤامرة المحكمة ضد الفيلسوف قد اجتمعت خيوطها، فى نسيج من الالتواء القانونى، كما بات واضحاً أن مجلس التعليم الأعلى قد أصبح عاجزاً عن أن يفعل شيئاً، فى سبيل إلغاء الحكم الجائر الذى أصدره القاضى «ماك جيهان» وأراد «برتراند راسل» أن يستخدم محامياً خاصاً للدفاع عن سمعته التى لوثت شرفه الذى لطخ فى الرغام ولكن محكمة الاستئناف رفضت باعتبار أنه ليس لـ«راسل» مصلحة قانونية فى هذه

القضية. وأمام هذا الإجحاف وجد راسل نفسه فى طريق مسدود، ومن العجب العجاب أن تعتبر المحكمة أن لولية الأمر «جين كاى» مصلحة قانونية فتسمح لها برفع قضيتها ضد «راسل» ثم تنكر محكمة الاستئناف حق الفيلسوف فى الدفاع عن نفسه وحماية سمعته من التلويث الذى أصابها بزعم أنه ليس له مصلحة قانونية فى القضية.

لقد كان اضطهاد «راسل» سافراً وقحاً لدرجة أن فيلسوف التربية المعروف «جون ديوى» قال معقباً على هذه الإجراءات التعسفية: «نحن الأمريكيين لا نملك إلا أن يندى جبيننا خزياً وعاراً لهذه الوصمة التى لطخت سمعة عدالتنا».

## وسام الاستحقاق ونوبل

ثم شد «برتراند راسل» رحاله إلى جامعة هارفارد المعروفة.. ولم يقم المسئولون فيها وزناً للمعترضين على «راسل» والشائنين له، فقد أصدرت الجامعة بياناً تقول فيه إنها بعد أن أحاطت علماً بالنقد الموجه إلى تعيين «برتراند راسل» قد أيقنت بعد استعراض الموقف وسائر الظروف أن مصلحة الجامعة العليا تقتضى التأكيد على قرار تعيين الفيلسوف الكبير للتدريس فيها. وفى هارفارد حاضر «راسل» دون أن يحدث ما يعكر الصفو، وبعد هارفارد انتقل راسل

إلى بنسلفانيا ليحاضر فيها سنتين متصلتين. وفى عام ١٩٤٤ عاد إمام الفلاسفة المحدثين إلى إنجلترا حيث أنعم عليه الملك جورج بوسام الاستحقاق .

وفى عام ١٩٥٠ عاد «راسل» إلى أمريكا للتدريس فى جامعة كولومبيا واستقبله الجميع بعاصفة من الهتاف والتصفيق لن ينساها الحاضرون مدى الحياة. وقورن استقبال كولومبيا لـ«راسل» باستقبال باريس لفولتير عند عودته إليها في عام ١٧٨٤ بعد غربته فى المنفى.

وفى عام ١٩٥٠ أيضاً منح اللورد «راسل» جائزة نوبل للآداب ويبدو أن اللجنة السويدية التى منحته هذه الجائزة العالمية لم تعبأ بفساد «رادين» على حد زعم القضاء الأمريكى المغرض والتعنت.

وحتى تكتمل صورة العذاب الذى لقبه «برنراند راسل» فى أمريكا أسوق هنا فصلاً آخر كتبه ألان وود فى سيرة حياة «برتراند راسل» بعنوان «منبوذ في أمريكا!».

## منبوذ فى أمريكا

ربما كانت بسنوات الحرب التى قضاها «رابسل» فى أمريكا أكثر السنين تعاسة فى حياته. فقد كانت هناك أولاً مخاوف من أن يكسب هتلر الحرب. إن أولئك الذين يعتبرون

«راسل» مجرد عالم منطق بحث تجرد من العاطفة، يجدون أقوى دليل على خطأهم حين يتبعون الطريقة التى كانت حالته النفسية تتقلب بها أثناء الحربين الأولى والثانية بين اليأس المطلق والأمل التواق فى أن يحل السلام على الأرض بأسرع ما يمكن، ومما زاد الأمر سوءاً ابتعاده عن أنجلترا فى ذلك الوقت. فقد كتب يقول: «فى بعض الأحيان يكاد حنين المرء إلى وطنه أن يصبح أمراً لا يطاق. وإن المرء ليشعر بالخجل لاستمتاعه بالراحة والأمن والسلام». وكتب إلى مسز تريفيليان فى شيفولدز يسألها إذا كان أزيز الطائرات قد أفسد ما ألفه من هدوء وسكينة فى غابات سرى، وإذا كان صحيحاً أن الأشجار التى كانت تنمو على ليث هيل قد اقتلعت. وقال: «إن فكرة اندثار الجمال شبح يطاردنى». واعترف «أنه من الصعب للغاية تجنب كآبة الجسد والروح التى تصيب الإنسان عندما يخيب أمله فى أن يكون مفيداً بصورة من الصور. أن المرء ليشعر أنه أمر فظيع ألا يقدم شيئاً من العون، وإن كان من الصعب علينا هنا أن نقدم الكثير».

وإلى جانب هذه الهموم والمشاغل وجد «راسل» نفسه فى ضائقة مالية شديدة. فقد كان مثلاً يستحيل فى ظل اللوائح

المالية الصادرة فى وقت الحرب أن تدفع له دور النشر البريطانية حقوق التأليف والنشر فى أمريكا باستثناء مبلغ صغير غير كاف لتعليم أطفاله الثلاثة، ثم وقع «راسل» ضحية فتنة أثارها ضده فى نيويورك الروم الكاثوليك، لا يزال كثير من تفاصيلها مجهولاً فى إنجلترا، نظراً لأن أخبارها كادت ألا تصل إليها بسبب القيود التى كانت الصحافة تخضع لها فى فترة الحرب.

ففى فبراير عام ١٩٤٠ عندما «راسل» لا يزال يعمل بجامعة كاليفورنيا، وجهت إليها الدعوة للتدريس بتكليف مدينة نيويورك. وكان قد وافق من قبل على إلقاء المحاضرات المعروفة بمحاضرات وليم جيمس فى جامعة هارفارد فى خريف ١٩٤٠ ومن ثم، فقد عينه مجلس التعليم العالى فى نيويورك أستاذاً للفلسفة ابتداء من ١ فبراير ١٩٤١ وتقرر أن تستمر فترة شغله لهذه الوظيفة حتى ٣٠ يونيو عام ١٨٤٢، وهو الوقت الذى يبلغ فيه «راسل» السبعين - سن التقاعد.

وحين قبل «راسل» هذه الوظيفة استقال من منصبه كأستاذ بجامعة كاليفورنيا ولكن سرعان ما احتج أحد أساقفة الكنسية الإنجيلكانية هو وليام ت.مانتج تعيينه فى نيويورك على أساس أنه اشتهر «بدعايته ضد الدين والأخلاق،

وبدفاعه بوجه خاص عن الزنا». ثم رفعت ضده إحدى دافعات الضرائب دعوى فى محكمة نيويورك العليا لإلغاء تعيينه. ورفعت هذه الدعوى زوجة طبيب أسنان- وهى سيدة تدعى مسز جين كاى من بروكلين التى وصف محاميها جوزيف جولدشتين مؤلفات «راسل» بأنها تتسم «بالفسق والشبق والشهوانية وتمتلئ بالحديث عن الجماع وحب الجنس إلى حد الخبل وبالمهيجات الجنسية، وتنم عن الإلحاد والتبجح وضيق الأفق وانعدام الصدق وانتفاء أى نسيج أخلاقى». وفضلاً عن ذلك فقد كتب «راسل» شكراً مفعماً بالشهوة الجنسية المتأججة كما نظم مستعمرة للعراة فى إنجلترا، وسمح بالشذوذ الجنسى.. هذا بالإضافة إلى أنه لم يكن مواطناً أمريكياً.. وقال جولد شتين فيما يتعلق بفلسفة «راسل»:

«إن راسل مغالط سفسطائى. وهو يقدم محاجات زائفة تستند إلى الخداع والأساليب الماكرة الملتوية ومجرد المغالطات، وإن كل مبادئه المزعومة التى يسميها فلسفة ليست سوى أساليب رخيصة مبتذلة مبهرجة بالية تتسم بالسحر والشعوذة وأحابيل تهدف إلى خداع الناس وتضليلهم».

وكان القاضى الذى استمع هذه الدعوى رجلا من الروم الكاثوليك يدعى جون أ. ماك جيهان وأصدر ماك جيهان حكمه التاريخى فى ٣٠ مارس ١٩٤٠ فألغى تعيين راسل

استنادا إلى ثلاثة أسباب : أولا أنه لم يكن أمريكيا. واشتكى ماك جيهان فى هذا الصدد قائلا: «إن هناك جامعات وكليات أخرى تبدو قادرة على أن تجد من تعينهم من المواطنين الأمريكان» والسبب الثانى : أنه لم يطلب من راسل اجتياز امتحان مسابقة كشرط أساسى لتعيينه، والسبب الثالث : أن القاضى ماك جيهان ندد «بالمبادىء غير الاخلاقية الشهوانية»، و«بالقذارة» التى تحتويها كتبه مستدلا على قوله بدفاع راسل عن زواج الزمالة بين طلبة وطالبات الجامعات ونصيحته بأنه يجب أن تكون التجربة الجنسية سابقة على الزواج.

ورد ماك جيهان على القول بأن راسل، لن يقوم إلا بتدريس الرياضيات والمنطق والفلسفة رداً يعتبر سليماً من وجهة نظره فحواه: «أن شخصية المدرس لها علاقة بتكوين وتشكيل آراء الطالب أكثر مما يشكله كثير من القياسات المنطقية ويقال إن راسل شخص مبرز، ولكن ذلك يزيد خطره فكلما ازدادت قدرته على خلب لب طلبته والتأثير فيهم بوجوده بينهم، اشتد نفوذه فى جميع مجالات حياتهم».

وأخيرا لخص القاضى ماك جيهان الموقف بقوله إن مجلس التعليم العالى - بتعيينه راسل - قد أنشأ «كرسيا للبذاءة» ، كما أنه تصرف بطريقة تعسفية هوائية تنتهك

انتهاكا مباشرا قواعد الصحة العامة والأمن وأخلاق الناس.

واتخذت الدعوى التى نظرها القاضى ماك جيهان ببساطة صورة قضية رفعتها إحدى دافعات الضرائب ضد هيئة نيويورك التعليمية وقدم راسل طلبا بأن يصبح طرفا فى إجراءات القضية حتى يستطيع الرد على الاتهامات الموجهة ضده ، ولكن ماك جيهان رفض ذلك.

وكانت جميع الاطراف المعينة تعتقد فى بادىء الأمر أن راسل سيستأنف ضد الحكم الذى أصدره ماك جيهان . ولكن العمدة لا جارديا قرر أنه من المناسب سياسيا أن ينسى الناس أمر هذه القضية، وبذلك ترك راسل مجردا من وسائل الدفاع عن نفسه أو وضع الامور فى نصابها.

وصرحت جريدة نيويورك تايمز أنه كان يجدر براسل أن ينسحب من تعيينه «بمجرد أن اتضحت له آثاره الضارة» . وأجاب راسل أنه لو كان يأخذ فى الاعتبار مصالحه وميوله وحده لما تردد فى الانسحاب. ولكن انسحابه من منصبه عمل ينطوى على «الجبن والأنانية» لأن عددا كبيرا ممن يدركون أن مصالحهم الخاصة، فضلا عن مبادئ التسامح وحرية الكلمة يتهددها الخطر أظهروا منذ البداية تحمسا لفكرة مواصلة الجدال المحتدم. ولوكنت قد تراجعت أو انسحبت لسلبتهم الأسباب التى تدفعهم إلى شن الحرب على هذا الموقف، ولو

أنى وافقت بصمتى لكان ذلك إقرارا منى بمبدأ السماح للمجموعات الكبيرة من الناس بإعفاء الأفراد الذين لا تروق لها آراؤهم وجنسهم وجنسيتهم من مناصبهم العامة.

وتعرضت جامعة هارفارد للضغط كى تلغى الدعوى التى وجهتها إلى راسل ليلقى محاضرات وليم جيمس، ولكن رئيس الجامعة وأعضاء هيئة التدريس فيها اتخذوا موقفا حازما. وكان أ.ن هوايتهد بعد تقاعده يعمل أستاذا فى جامعة هارفارد فى ذلك الوقت. وكانت أراؤه كما سبق أن ذكرنا تختلف كثيرا عن آراء راسل، فقد اعتاد أن يقول لطلابه: «أيها السادة، إن برتى راسل يقول إننى رجل مشوش الفكر. إما أنا فأقول إنه بسيط العقل» وعلى الرغم من هذا، فقد ناصر هذا الرجل راسل - شأنه فى ذلك شأن ديوى واينشتين وآخرين - فى الملاحاة التى احتدمت حول أستاذيته فى نيويورك.

وعلى الرغم من ذلك، فقد وجد راسل نفسه عاطلا عن العمل بعد انتهاء محاضراته فى هارفارد. وأثارت اللمزات وتلطيخ اسمه فى قاعة المحكمة سيلا من الشائعات حوله، ولاكت الألسنة سيرته التى أصبحت مضغة الأفواه خاصة فيما يتعلق بأشياء شاع بين الناس زعم بأنها حدثت فى المدرسة التى كا يديرها فى انجلترا وإزاء ذلك وجد راسل

نفسه مضطرا إلى إصدار إنكار وتكذيب لما وجه إليه من اتهامات فقال : «إننى لم أشعر قط بالخجل من أى شىء خلقه الله. ولكن ذلك لا يعنى أننى – وأطفالى – نتحول عراة فى كل مكان» وأضاف أنه على الرغم من أن له سجلا حافلا بالزنا فى انجلترا، «فإن اللوم فى ذلك يقع على قانون هذا البلد قبل أن يقع على عاتقى، لأن هذا القانون لم يبح حينذاك الطلاق إلا لعلة الزنا» .

وأنقذ راسل من ضيقة المال بصورة مؤقتة مليونير غريب الأطوار يدعى دكتور ألبرت بارنز الذى كلفه بإلقاء محاضرات فى تاريخ الفلسفة بمؤسسة بارنز بولاية بنسلفانيا وانتقل راسل مع عائلته إلى منزل ريفى قديم يسمى مزرعة ليتل داتشت على بعد خمسة وعشرين ميلا غرب فيلادلفيا. ووجد هناك أن سكان الولايات الشرقية يناصرون الانجليز بحماس «وأن كل إنسان فيها يعطف عليه وعلى أسرته بسبب جنسيتهم». وسنحت له الفرصة أن يستمتع بزيارات قام بها أصدقاؤه فى انجلترا، ومن بينهم جوليان هكسلى وذهب راسل لزيارة ج . أ. مور الذى دعى لإلقاء المحاضرات بجامعة برنستون وقال إن مور «كان على عهده دائما، شخصية فاتنة للغاية وهادئة لا تتأثر بشىء» .

ولسوء الحظ، كانت متاعب عديدة تنتظر راسل ، فقد

مرض مرضا شديدا إذ أصابته العدوى بمرض جيبى شل قدرته على الحركة لدرجة أن الأطباء حذروه من خطر عبور الطريق بمفرده . وفى يناير عام ١٩٤٣ انتهت فترة تعاقده مع مؤسسة بارنز بصورة مفاجئة حيث تلقى إشعارا بإنهاء خدمته قبل نهاية مدة العقد بثلاثة أيام فقط .

ورأى بارنز أن راسل «قد فشل فى أن يصل بسلوكه الشخصى والمهنى إلى المستوى المطلوب لوظيفته». ومن بين الشكاوى التي ترددت أن باتريشيا راسل كانت تلفت أنظار طلابه وتصرف انتباههم عن الدرس بحضورها محاضرات زوجها في بنطلونات فضفاضة وبإحداثها صوتاً ناجما عن احتكاك الإبر وهى تشتغل شغل الإبرة لتصنع ملابس ترسلها إلى الأطفال الذين شردتهم القنابل فى بريطانيا، وربما ترجع بعض متاعبه إلى أنه انتقد فى مناظرة له مع لويس فيشر موقف غاندى من الحرب وقال : إن أحوال الهند قد تسوء عما هى عليه إذا تسنى أن يغزوها اليابانيون . واعتبر بارنز ذلك القول دفاعا عن الاستعمار البريطانى .

وهكذا تعين على راسل العاطل وهو فى سن السبعين - حين يتقاعد معظم الرجال - أن يعول أطفاله الثلاثة ويقوم على تربيتهم. ووصفته مجلة التايم بأنه «الفيلسوف الذى تعرض عنه الجامعات الأمريكية» فقد تلطخت سمعته بسبب

الهجمات التى توالت عليه والاشاعات التى ثارت حوله لدرجة جعلت كل الجامعات ترفض أن تعرض عليه أى منصب فيها. ولم تقبل أن تنشر مقالاته سوى صحف قليلة ويمكننا الاستدلال على قوة المشاعر التى ثارت ضده من هذه الحادثة. كتب جليرت مرى إلى صديق له أمريكى ذى مكانة مرموقة، يسأله إذا كان يستطيع مساعدة راسل ، فرد عليه الرجل بقوله : إنه على الرغم من رغبته الشديدة فى أن يقدم خدماته لجلبرت مرى، إلا أنه يعتبر أن طلبه بتقديم العون إلى راسل أمرا يتجاوز الحدود بعض الشىء» .

ودافع راسل عن نفسه برفع دعوى ضد بارنز بسبب فصله من عمله فصلا تعسفيا ، وبالرغم من أنه كسب القضية فقد تعرض تنفيذ الحكم الصادر فيها للتأخير الشديد، فلم يدفع له التعويض الا بعد انقضاء ثلاثة أعوام. وأثناء سماع القضية ذكر راسل أن كل دخله في خلال الثمانية أشهر السابقة لم يتجاوز ٧٨١ جنيها. وحين قال القاضى أنه ربما لم يحاول العثور على عمل، رد عليه راسل بقوله : «هل تعتقد أننى لا أسعى إلى الحصول على المال ؟ لست واحدا من هذا النوع من الفلاسفة» .

وظل راسل رابط الجأش حتى عندما كان فى موقف يدعو إلى اليأس ، يعانى من الحاجة الملحة إلى المال ومن غربته

وعزلته بعيدا عن وطنه. وقال لأحد الصحفيين بروح المرح: «إن دخلي الحالى أقل من الضريبة التى تستقطع منى ولنر كيف تعالج الحكومة هذا الوضع» وكتب إلى ناشره فى انجلترا - السير ستانلى أنوين فأعد هذا الناشر تقديرا للعائد الذى قد تدره كتب راسل فى المستقبل ، وأرسل إليه المبلغ المقدر مقدما حتى يستطيع ولداه الكبيران أن يتما تعليمهما الجامعي فى أمريكا. ثم حصل راسل على مبلغ مقدما من أحد الناشرين الأمريكان مقابل كتاب بدأ يجمعه من محاضراته التى ألقاها بمؤسسة بارنز .

وقيض لهذا الكتاب أن يكون أحد روائعه، نشره فى ظل ظروفه العصيبة المضطربة، تحت عنوان «تاريخ الفلسفة الغربية» وأضاف إليه العنوان الفرعى : «وعلاقته بالظروف السياسية والاجتماعية». ويعد هذا الكتاب الأول من نوعه يكتبه فيلسوف من الدرجة الأولى كما أنه يعد إحدى المحاولات النادرة للغاية لكتابة تاريخ شامل للفلسفة ينهض على قراءة دقيقة وأمينة لكتابات الفلاسفة الذين يناقشهم فى مؤلفه. وفيما بعد حدثتنا باتريشيا راسل عن رحلاتها التى قامت بها للبحث عن الطبعات الكاملة لأعمال الفلاسفة المختلفين، وكيف أنها وجدت صعوبة بالغة فى محاولة إقناع من تتعامل معهم بأن «المختارات» التى تشيع فى أمريكا لا

تصلح للدراسة المتعمقة.

وفى القسم الوسيط فى هذا الكتاب ، تعمق راسل فى دراسة الفلاسفة الكاثوليك فى العصور الوسطى. ومن النادر أن تجد مثل هذه الدراسة التفصيلية المستفيضة لهم فى أى مرجع آخر وعلق راسل على كتابتهم بقوله إنه على الرغم من رتابتها ومللها، فإنها أفضل مما توقع . وبطبيعة الحال ، لم تحظ آراؤه فيهم بموافقة الكاثوليك عليها تماما ولذلك فإنه مما يثير الاهتمام أن نعرف أننى حين انتقدت هذا القسم الوسيط من الكتب على أساس أنه أطول مما يجب ، عارضنى راسل فى عنف وأصر على أهمية بعض الاعمال المؤلفة فى العصور الوسطى .

وينطوى كتاب «تاريخ الفلسفة الغربية» على محاسن عديدة لدرجة أنه قد يبدو من التجرؤ بمكان أن أمتدح الكتاب ولهذا فسوف أكتفى بذكر عيوبه.

إن كتابا بهذه الضخامة كان لابد أن يحتوى بعض الهنات وكان هناك إجماع فى الرأى بين المعجبين بكانط على أن الفصل المخصص لهذا الفيلسوف هو أسوأ فصول الكتاب. وحين كتب راسل عن مبدأ كانط المأثور الذى يقيس صحة أى عمل برغبتنا فى أن يقدم الجميع على الإتيان به تجده يقول: «ويعطينا كانط على ذلك مثلا توضيحيا فيذهب إلى أنه من

الخطأ أن نقترض المال، لأنه إذا حول الجميع الاقتراض، فلن تتبقى نقود يمكن اقتراضها» واحتج حشد من أنصار كانط في الحال قائلين إن كانط لم يستخدم هذا المثل بالذات . وإني على استعداد لتصديقهم لأنه ليست هناك ثمة ما يغريني بقراءة كانط مرة أخرى لأكتشف ذلك بنفسي .

ويحتوي الفصل الخاص ببرجسون على خطأ أكثر إثارة للاهتمام . وهذا الفصل كما سبق أن ذكرنا عبارة عن مُحاضرة راسل الشهيرة في جماعة المهرطقين ضمها راسل إلى كتابه دون أي تغيير ويرجع تقسيم هذا الفصل ، إلى جزءين ببساطة إلى أن راسل أثناء حديثه الذي ألقاه في جماعة المهرطقين عام ١٩١١، أخذ فترة استراحة في منتصف المحاضرة حتى يلتقط أنفاسه من ناحية وحتى تتاح لجمهور المستمعين فرصة الاستراحة والتفكير فيما سمعوه من ناحية أخرى وانتقد راسل في محاضرته هذه برجسون انتقادا قاسيا «لخلطه بين الذات والموضوع» وبين «عملية المعرفة ومايعرف» وقد غير راسل رأيه من قبل عندما تبنى الواحدية المحايدة، ولكن نقده لبرجسون أعيد طبعه .كما ورد بالحرف الواحد في كتاب «تاريخ الفلسفة الغربية» رغم أنه امتدح في الفصل التالي له وليام جيمس لأنه أنكر وجود أي فرق أساسي بين الذات والموضوع .

وهذا التباين فى الرأيين دليل يثير الاهتمام، ويوضح نقطة ضعف في راسل باعتباره مؤلفا. إن راسل صاحب أسلوب جميل تستحق بعض فقراته أن تجد لها مكانا فى أية «مختارات من النثر الانجليزي» ولكن كتبه أقرب ما تكون إلى مجموعة من الفصول غير المترابطة دون أن تسهم فى خلق عمل متكامل هذا بالطبع كان نتيجة طبيعية لأسلوبه التحليلى والتفصيلى فى معالجة أية مشكلة ونتيجة لرفضه مبدأ «الواحدية» وقد كان المرء يتوقع من عنوان الكتاب الفرعى أن يركز «تاريخ الفلسفة الغربية» أساسا على العلاقة بين آراء الفلاسفة وبين العصور التى عاشوا فيها ولم يتوصل راسل إلى نتائج عامة فى هذا الشأن لقد نبذ - وهو محق فى هذا - النظريات الماركسية المتطرفة التى تقول إن الفلاسفة نتاج القوى الاقتصادية وقال وهو محق فى ذلك أنهم من وجهة النظر التاريخية يجمعون بين كونهم بسبب هذه القوى ونتيجة لها ولكن حتى هذه النتيجة غير الحاسمة لم تكن بذهنه دائما كموضوع أساسى للكتاب تدور كل الفصول حوله.

وحقيقة الأمر أنه بالرغم من أن راسل كانت له تعليقات عديدة وضاءة عن الفلاسفة وعصورهم، فإنه لم يكتب الكتاب الذى كان ينوى حقا كتابته كما أنه نسى تماما أن يناقش الظروف المحيطة ببعض الفلاسفة بيد أنه نجح فى كتابة خير

تاريخ يلقى ضوءا على الفلسفة قيض له أن يظهر بين صفحات مجلد واحد وبسبب فرط تواضعه فقد شعر أن هذا لم يكن كافيا، وأنه ينبغى أن يفى كتابه بغرض آخر حتى يبرر وجوده ولكن عيوب «تاريخ الفلسفة الغربية» ككتاب تزيد من محاسنه كتاريخ ولو أن راسل - مراعاة لوحدة الكتاب الفنية- حاول أن يستخدم تلخيصاته وانتقاداته للفلسفات المختلفة بمثابة توضيحات لنظرية ما - لا تنقص ذلك من قيمة هذه التلخيصات والانتقادات لقد كان من عادة نقاده أن يذهبوا إلى أن التحليل معناه التزييف ولكن الواقع فى أغلب الأحيان أن الوحدة غير التحليلية هى التى تنطوى على التزييف .

وفى أوائل عام ١٩٤٤ بينما كانت الحرب دائرة رحاها أتيحت لراسل فرصة العودة الى إنجلترا التى كانت يتوق إليها ودعته كليته القديمة ترينيتى للعودة إلى كامبردج وتمكن من السفر إلي وطنه على متن سفينة للشحن وبادر أثر وصوله الى إنجلترا بزيارة عائلة تريفيليان في شيفولدز، وتمشى على تيراس منزلها وهو يستمتع فى الهواء الطلق برؤية تلال سرى من جديد وبجمال أشجار الزان، كما استمتع أيضا بالحديث الشيق مع أصدقائه الانجليز ولم يمض وقت طويل حتى خرج للتنزه مع بوب تريفليان وأخذا يتناقشان فى

اللاهوت .

وقال له تريفليان بطريقته الهادئة التأملية : «المشكلة تتلخص فى عدم قدرتى.. على الاهتمام بالله » .

ورد عليه راسل علي الفور : «قد يكون هذا الشعور متبادلا» ثم ترددت ضحكاتهما عبر التلال .

وقد تبدو دعوته للعودة إلى كامبردج – إذا عدنا بذاكرتنا للماضى – خطوة طبيعية للغاية ، وذلك فإنه من الغريب أن ندرك أنه حتى فى ذلك الوقت وفى إنجلترا ذاتها ، كان الناس ينظرون إليه أحيانا على أنه شخص بشع منفر وقد حاول البروفيسور ليتلوود من قبل يستطلع الرأى فى إمكانية تعيين راسل زميلا شرفيا فى كلية ترينيتى، ولكنه دهش عندما واجه معارضة شديدة وبالرغم من ذلك ، فقد تلقى راسل بعد ذلك بوقت قصير دعوة للعودة إلى ترينيتى وإلقاء المحاضرات فيها .

وشاركت هيئة الاذاعة البريطانية لبعض الوقت اعتراضها على راسل وأظهرت فى بادئ الأمر شيئا من الاحجام عن دعوته لاذاعة الاحاديث فيها وكتب راسل يقول : «إن هيئة الاذاعة البريطانية لا تريدنى، ولكنى سأحاضر فى ترينيتى وهذا ما أفضله»

وحتى نختم هذا الفصل بطريقة خفيفة مرحة ، فإننا

سنذكر أحد التغيرات التى لاحظها راسل عند عودته إلى انجلترا فقد وجد أن الفليسوف س .أ .م جود يحظى بأكبر نصيب من الشعبية وذيوع الصيت.

ومن أغرب الخصائص التى تميز العظماء وأعمها معا هى قدرة التافهين على تعكير صفو بالهم فمثلا سوف يتساءل المؤرخ فى المستقبل متعجبا كيف أمكن لسياسى مثل شنويل أن يضايق ونستون تشرشل بما وجهه إليه من انتقادات، ولماذا التفت تشرشل إلى مضايقاته على الإطلاق ؟ وفى ظنى أن أجيال المستقبل ستذكر باستمتاع العداء العنيف الذى أظهره راسل نحو شخصيات قليلة الشأن مثل ج . أ سميث و س . أ جود وهذا دليل على أن العبقرية لم تمنعه من أن يتصرف كإنسان.

كان جود يتحلى بفضائل عدة ، ومن الجائز أنه لو ولد فى وقت آخر ، إن الناس كانوا سيذكرونه كمفكر صادق ومعلم صافى الذهن ولكن لسوء الحظ ، أصبح اسمه تجسيدا ورمزا لكل ما هو سىء بين المثقفين اليساريين فى بريطانيا فى هذه الفترة بالذات ، فقد كان داعية سلام أثناء الحرب العالمية الأولى، ولكنه لم يكن فى طاقته أن يتحمل السجن ومشاقه فوجد حلاً وسطا مرضيا فى التحاقه بالعمل بوظيفة مدنية حكومية. وتخلى جود - شأنه فى ذلك شأن راسل - عن

دعوته للسلام أثناء الحرب العالمية الثانية وبينما رأى راسل عندما تقدم به العمر ولم يعد قادرا على الاشتراك فى الحرب بنفسه أنه ينبغى عليه أن يمتنع عن تحريض الشباب على القتال ، كان جود يمارس أنشطة مثل التحدث فى اجتماعات غفيرة يحث فيها على إقراض المال من أجل الحرب وتلقى جود مكافأة كبيرة لتخليه عن سياسة الدعوة إلى السلام ، فقد كان معروفا فيما مضى لدى عدد قليل من الناس على أنه كاتب يمثل ذلك النوع من الكتاب الذين يكتبون الهراء التقدمى الذى يحظى بإعجاب مجلة نيو ستيتسمان ، ومروج للفلسفة بلغة مبسطة يفهمها عامة الناس يسعى إلى جذب انتباههم إليه بإطلاق لحيته وحديثه عن الجنس. ولكن هيئة الإذاعة البريطانية بدأت تقدم جود فى برنامج مخصص للمناقشات معروف باسم «هيئة الخبراء» ، أظهرت هذه الهيئة براعة عجيبة فى تحويل شخصية من الدرجة الثانية إلى واحد من مشاهير الأمة. كما كان جود يكتب أيضا مقالات أسبوعية لجريدة السنداى ديسباتش التى وصفته بأنه «فيلسوف بريطانية الرائد».

ومن العسير ألا يشعر المرء بشىء من العطف نحو جود فقد كان مفكرا صافى الذهن تنقصه الأصالة والابتكار، شاء له القدر أن تسلط الأضواء عليه فجأة ويقف على منصة فينفضح أمره باعتباره رجلا ليس لديه ما يقوله للناس. إذ إن

فلسفته فى الحياة لم تكن سوى تكرار لأفكار غير مبتكرة جمعها من راسل برنارد شو وبالرغم من ذلك فقد استحق جود كثيرا من الثناء لأنه أثار الاهتمام بالفلسفة بين أناس لم يفكروا فيها من قبل ، ولكن راسل لم يعطف عليه أو يمتدحه، فقد كان يمقت فيه كل ما هو زائف فى الإنسان ووصفه بأنه «دجال ينتحل مؤلفات غيره» مشيرا بذلك الى نقل جود المتكرر لإفكار من كتبه وإدماجها فى مؤلفاته الخاصة به دون اعتراف منه بمصدرها. وتتجلى دعابة راسل الذكية وحضور بديهته بصورة شديدة التركيز فى إجابته عندما طلب إليه تقديم كلمه ثناء يصدر بها أحد كتب جود، فما كان منه إلا أن قال : «حاشى لى أن أفعل هذا فإن التواضع يمنعنى» .

وسقطت نعمة هيئة الإذاعة البريطانية عن جود عندما ضبط مسافرا فى قطار دون أن تكون معه تذكرة، وحاول أن يضلل مفتش التذاكر بشأن المكان الذى ركب منه وقبل وفاته بقليل ظل يتنكر بصورة متزايدة لارائه اليسارية وانتهى بانضمامه الى كنيسة إنجلترا وقال راسل معلقا على هذه التصرفات بأن «جود قد عثر على الله بعد أن فقد تذكرة سفره بالقطار» وثارت ثائرة راسل عندما سمع إشاعة ترامت إلى أمريكا مفادها أن جود قد هداه من جديد إلى العقيدة الدينية الأصيلة .

## الفصل الثالث :

# دعوة راسل إلى السلام العالمى وموقفه من الحرب العالمية الثانية

على الرغم من اعتراض برتراند راسل الشديد على الحرب العالمية الأولى فإنه أيد حرب الحلفاء على ألمانيا النازية لأنه رأى فى هتلر خطرا يتهدد الحضارة الانسانية برمتها ولكن بمجرد اندحار القوات النازية على يد الحلفاء واحتدام الحرب البادرة بين الكتلتين الشرقية والغربية حتى أتخذ موقفا إنسانيا بدفاعه النبيل عن السلام العالمى ونحن لا نزال نذكر زعامته للمظاهرات عام ١٩٦١ ضد الحرب بالجلوس مع زوجته الرابعة أديث فينش فى هوايتهول فى لندن الأمر الذى جعل السلطات الإنجليزية تزج بهذا الشيخ الوقانى فى السجن بتهمة تعطيل حركة المرور وفيما يلى بعض نشاطه فى هذا الصدد. وهو يتلخص فى ترجمة للخطبة التى إلقاها فى مجلس السلام العالمى فى هيلسنكى وتلخيص كتيب إصدره عام ١٩٥٦ بعنوان التعقل والحرب النووية وينتهى الكتاب الذى بين ايدينا بملخص كتاب صغير بعنوان هل للانسان مستقبل يحدثنا فيه عن موقفه من الحرب العالمية الثالثة .

## برتراند راسل يتحدث عن السلام

## خطبة إلقيت فى مجلس السلام العالمى فى هيلسنكى

تواجه الانسانية خطرا لم يسبق لها أن واجهته على مدى التاريخ الانسانى، فإما أن ننبذ الحرب أو يجب علينا أن نتوقع الفناء للجنس البشرى، وقد تعالت صيحات كثيرة من رجال العلم البارزين والسلطات العليمة بالاستراتيجية العسكرية منذرة بالخطر الداهم. ولا يستطيع أحد منهم أن يحدد أسوأ النتائج على وجه التأكيد .

والذى أظن أنه يجوز اعتباره أمرا أكيدا: هو انتقاء امكانية النصر لأى من الجانبين كما هو مفهوم من معنى النصر حتى يومنا هذا. واذا استمر الاشتغال بالحرب العلمية دون ضابط فمن المؤكد أن الحرب القادمة لن تبقى أحدا على قيد الحياة ويستتبع هذا أن الامكانيات الوحيدة أمام الانسانية تنحصر اما فى السلام عن طريق الاتفاق أو السلام الذى يحلق فوق الموت الشامل .

وستساعدنا سلسلة الخطوات التى أقترحها، كما أعتقد ، فى الوصول الى الحل الأسعد ولا شك أن هناك وسائل أخرى للوصول الى الهدف نفسه ولكن من المهم إلا ينجح اليأس فى شل نشاطنا، ويمنعنا من أن تمثل فى أذهاننا ولو طريقة واحدة على الأقل محدودة المعالم للوصول الى سلام أكيد .

وقبل أن أعرض لهذه الخطوات، أحب أن أعلق على وجهة نظر أعتقد أن الصواب يجانبها ويدعو إليها أصدقاء «للسلام مخلصون ممن يذهبون الى القول بأن ما نحتاج اليه هو اتفاقية بين الدول الكبرى تتعهد فيها بعدم استخدام الأسلحة النووية على الاطلاق» ولكننى اعتقد إن محاولة الوصول الى مثل هذه الاتفاقية ستفضى الى طريق مسدود لسببين .

وأول هذين السببين أنه يمكن انتاج مثل هذه الأسلحة الآن بدرجة من السرية التى تتحدى التفتيش وسيستتبع ذلك إنه حتى لو ابرمت اتفاقية لحظر استعمال مثل هذه الاسلحة فسيظن كل جانب ان الجانب الآخر يقوم بإنتاجها سرا رسيجعل الشك المتبادل العلاقات اكثر توترا عما هى عليه .

ونقطة الجدل الاخرى هى إنه حتى لو امتنع كل من الجانبين عن انتاج مثل هذه الأسلحة فى فترة السلام الأسمية فلن يشعر أى من الجانبين أنه ملتزم بالاتفاقية فى حالة نشوب الحرب فعلا وسوف يمكن لكلا الجانبين انتاج قنابل هيدروجينية عديدة بعد البدء فى القتال .

هناك كثير من الناس الذين يخدعون انفسهم معتقدين ان القنابل الهيدروجينية لن تستخدم بالفعل اذا نشبت حرب . ويشير هؤلاء الناس الى أن الغازات السامة لم تستعمل فى الحرب العالمية الثانية. وأخشى ان هذا لا يعدو أن يكون وهما

كاملا. فالغازات السامة لم تستخدم، لانه وجد انها غير حاسمة، وان اقنعة الغازات تقى من الخطر. والقنبلة الهيدروجينية على العكس من ذلك سلاح حاسم لم تكتشف حتى الآن وسيلة للحماية من خطره. ولو استخدم أحد الجانبين هذه القنبلة دون أن يستخدمها الجانب الآخر فمن المحتمل أن الجانب الذى سيبدأ باستخدامها، سيجعل الجانب الآخر فى مركز العاجز عن طريق استعمال قدر ضئيل من القنابل التى لن تسبب أى دمار يذكر للجانب الذى استعملها اذا كان الحظ حليفه. فالدمار الأكثر فظاعة الذى يخشى منه يعتمد على انفجارعدد كبير من القنابل .

ولذلك فأنا أظن أن الحرب التى يستخدم فيها جانب واحد فقط القنابل الهيدروجينية قد تنتهى الى شىء يستحق أن يسمى انتصارا لهذا الجانب ولا أظن - وفى هذا تجدنى متفقا مع سائر السلطات العليمة بالشئون العسكرية - انه ليس هناك أدنى فرصة فى عدم استعمال القنابل الهيدروجينية فى حالة نشوب حرب عالمية. ويستتبع ذلك اننا يجب أن نقوم بمنع الحروب الشاملة وإلا كتب علينا الهلاك .

وانها لخطوة ضرورية فى طريق السلام أن تحمل حكومات العالم على الاعتراف بهذا. وباختصار ، أن القضاء على القنابل الهيدروجينية وهو أمر يجب علينا جميعا أن

نرغب فيه لا يمكن أن يصبح ذا فائدة الا بعد أن يجتمع الجانبان فى محاولة صادقة لوضع حد للعلاقات العدائية بين المعسكرين. كيف يمكن تحقيق هذا ؟

لا بد من تحقيق هدفين قبل أن تصبح المواثيق والتدابير الدولية ممكنة .

أولا – على الدول الكبرى أن تدرك انها لا يمكن تحقيق أهدافها مهما كان نوعها عن طريق الحرب .

ثانيا – أن يقل الشك المتبادل من الجانبين فى أن كلا منهما يستعد للحرب كنتيجة لهذا الادراك العالمى الشامل .

وفيما يلى بعض المقترحات الخاصة بالخطوات التى يمكن اتخاذها لتحقيق هذين الهدفين :

يجب أن تكون الخطوة الاولى فى شكل بيان يصدره نفر قليل من أبرز العلماء بشأن الأثر الذى يجب علينا توقعه من جراء حرب نووية .

من الجانبين ومن المهم أن تذكر لنا السلطات العليمة فى لغة واضحة .

كما يجب ألا يتضمن البيان تحيزا، مهما يكن طفيفا ، لصالح أى الدور الذى ينبغى على الدولتين الحيادتين الممثلتين أن تلعباه فيقول إن ما ينبغى علينا توقعه بشتى الطرق ،

وتمدنا بمعلومات أكيدة محددة كلما أمكن ذلك كما تذكر لنا الفرض الاكثر احتمالا اذا كان الدليل القاطع لا يتوفر لديها. ويمكن لمن هم على استعداد لتحمل المشاق الكبار فى إستيفاء المعلومات وجمعها ان يتأكدوا فى الوقت الحاضر من صحة معظم الحقائق فى الحدود التى تسمح بها المعرفة القائمة ولكن الذى نحتاج اليه هو عرض المعلومات بأبسط أسلوب ممكن ،وأن تكون هذه المعلومات فى متناول يد الناس والعمل على ذيوعها على أوسع نطاق، كما يجب أن يتوفر لدى المشتغلين بنشر هذه المعلومات بيان مدعم بالحجج، موثوق به للاستناد والرجوع اليه. وأن يبين البيان فى جلاء لا يرقى اليه الشك ان الحرب النووية لن تعود بالنصر على أى من الجانبين، وأنها لن تخلق العالم الذى يزيده الشيوعيون ، أو العالم الذى يريده المناهضون لهم، أو العالم الذى ترغب فيه دول الحياد.

ويجب دعوة العلماء فى أنحاء العالم إلى المساهمة فى هذا البيان الفنى ويحدونى الأمل فى أن يشكل هذا التقرير كخطوة تالية، أساسا تعمل بمقتضاه إحدى الحكومات الحيادية أو أكثر، ويمكن لهذه الحكومات أن تقوم بتقديم هذا التقرير، أو تقرير يضعه علماؤها المتخصصون إذا كانت

تفضل ذلك إلى كل حكومات العالم الكبرى وتدعوها للإدلاء برأيها فيه، ويجب أن يكون التقرير ذا وزن علمي يؤازره بالدرجة التى يكاد يتعذر معها على أية حكومة أن تدحض ما فيه من بيانات علمية، ويمكن للحكومات الواقعة على جانبى الستار الحديدى أن تعترف دون أن تفقد ماء وجهها للحكومات الحيادية بأن الحرب لم تعد تصلح كاستمرار لأساليب السياسة. والهند بالذات من بين دول الحياد فى وضع مفضل نظرا لأنها على علاقات صديقة مع كل من الكتلتين ولما لها من خبرة ودراية فى التوسط الناجح بين كوريا والهند الصينية، وأنا أود أن أرى الحكومة الهندية تقوم بتقديم هذا التقرير العلمى إلى الدول الكبرى وتدعوها إلى التعبير عن رأيها فيه، وأملى أن يحمل الجميع بهذه الطريقة على الاعتراف بأنهم لن يفيدونا شيئا من حرب نووية .

ومن الضرورى فى الوقت نفسه إجراء تعديلات معينة فى أفكار هؤلاء الذين مازالوا حتى الآن مندفعين فى مشايعة الشيوعية أو مناهضتها. ويجب عليهم أن يدركوا أن السباب المر الموجه إلى الجانب الآخر أو تأكيد خطاياه السابقة أو الشكوك فى بواعثه ونياته لن تخدم غرضا مفيدا، وليسوا بحاجة لأن يتخلوا عن آرائهم فى تفضيل نظام على آخر، كما

أنهم ليسوا بحاجة إلى التخلى عن المفاضلة فيما يختص بسياسة بلادهم الحزبية. والأمر الذى يجب عليهم جميعا الإقرار به هو أن نشر الرأى الذى يفضلونه لابد أن يتم عن طريق الحث والاقناع، لا القوة والعنف .

دعنا نفترض الآن أن الدول الكبرى قد أمكن اغراؤها عن طريق هذه الوسائل المقترحة على الاعتراف بأنه لايمكن لأية دولة منها أن تحقق أهدافها بالحرب وأن هذه لأصعب خطوة، إذن فما الخطوات التى يمكن اتخاذها بعد ذلك ؟

الخطوة الأولى التى ينبغى اتخاذها على الفور تنحصر فى التهادن المؤقت للصراع سواء كان ساخنا أو باردا بينما تستنبط فى الوقت ذاته تدبيرات اكثر دواما. وحتى ذلك الحين لابد أن تكون الهدنة المؤقتة مبنية على اساس الاحتفاظ بالاوضاع القائمة لعدم توفر أساس آخر لا يحوى فى طياته مفاوضات عسيرة ، وينبغى لمثل هذه المفاوضات أن تجيء فى حينها. ولتكون هذه المفاوضات مثمرة فلابد من عدم اجرائها فى جو العداوة والشحناء والشك القائم فى الوقت الحاضر، وعندما تخف حدة الكراهية والخوف فى خلال هذه الفترة، ينبغى تخفيف وطأة الشتائم الصحفية، وحتى الانتقادات التى يكيلها كل من الطرفين للآخر بوجه حق لابد من اسكاتها.

وينبغى تشجيع التجارة المتبادلة وتزاور الوفود المتبادل وخاصة النوع الثقافى والتعليمى منها . لابد أن يحدث هذا كله على سبيل تمهيد الجو المناسب لعقد مؤتمر، وتمكين هذا المؤتمر من أن يقضى على الصراع من أجل القوة .

وعندما يتم خلق جو ودى بعض الشىء باتباع هذه الاساليب، ينبغى أن ينعقد مؤتمر دولى ، الغرض منه هو خلق سبل دون سبيل الحرب لتصفية الخلافات بين الدول . وهذا عمل شاق لا لضخامته وتعقيده فحسب بل بسبب التعارض الحقيقى الكبير الذى قد ينشأ فى المصالح . ولا أمل فى نجاح هذا العمل الا اذا كانت الآراء قد أعدت اعدادا كافيا . وعلى مندوبى هذا المؤتمر أن يجتمعوا بحيث يكون رائدهم الاقتناع الراسخ بأمرين لابد أن يكون ماثلين فى ذهن كل مندوب منهم

أولهما : الاقتناع بأن الحرب تعنى الدمار الشامل

وثانيهما : الاقتناع بأن تصفية النزاع عن طريق الاتفاق أفيد للمتنازعين من استمرار النزاع حتى أن لم يكن هذا الحل مرضيا تماما لاى من الطرفين .

ولوتشرب المؤتمر هذه الروح لاستطاع أن يمضى قدما يحدوه شىء من الرجاء الناجح فى معالجة المشاكل الضخمة

التى ستعرض له .

وأولى هذه المشاكل التى يجب معالجتها هى خفض التسلح القومى .

وطالما ان هذا التسلح سيظل على ما هو عليه فى الوقت الحاضر فمن الواضح أن نبذ الحرب لا يتسم بالإخلاص.

وينبغى اعادة الحريات التى سبق وجودها قبل عام ١٩١٤ وخاصة حرية السفر وحرية تداول الكتب والمجلات والتخلص من العقبات التي تعترض نشر الافكار عبر الحدود القومية. واعادة هذه الحريات السابقة خطوة من الخطوات الضرورية نحو الادراك بأن الانسانية تكون عائلة واحدة، وان المنازعات بين الحكومات عندما تشتد حدتها كما تشتد الآن ليست سوى عقبات فى سبيل السلام.

ولوتحققت هذه الاعمال الشاقة فسيمضى المؤتمر قدما الى خلق سلطة عالمية سبق للعالم ان حاول تحقيقها مرتين ، أولا : عن طريق عصبة الامم ، وثانيا عن طريق هيئة الامم وأنا لا اعتزم الدخول فى تفصيلات هذه المشكلة الآن مكتفيا بالقول بانها إن لم تجد حلا فلن تكون للتدبيرات الاخرى أية قيمة دائمة.

ومنذ عام ١٩١٤ حتى الآن تعرض العالم بصفة مستمرة

للهلع المتزايد ، وهلكت اعداد هائلة من الرجال والنساء والاطفال، وجربت نسبة كبيرة جدا ممن كتب لهم البقاء على قيد الحياة الخوف من الموت .

وعندما يفكر الغربيون في الروس والصينيون فى الغربيين، فهم يفكرون فى بعضهم البعض أساسا على انهم مصدر للدمار والتخريب، لا على انهم بشر عاديون لهم القدرة الانسانية العادية على الفرح والحزن. وبدا من الواضح أكثر فأكثر أن الاستخفاف هو المخرج الوحيد أمامهم من اليأس والقنوط ، كما بدا أنه لا يمكن ادراك المخرج الذى يمكن التوصل اليه عن طريق الامل المتزن والسياسة البناءة ولكن اليأس الذى لايأبه بشىء ليس بالحالة الذهنية الوحيدة العاقلة فى العالم الذى نجد فيه أنفسنا، ويكاد البشر عن بكرة أبيهم فى أرجاء العالم أن يكونوا أسعد حالا وأكثر انتعاشا اذا توقف الشرق والغرب عن التشاجر والعراك. وليست هناك حاجة لان يطلب من أحد أن يتخلى عن أى شىء الا اذا كان هذا الشىء هو الحلم ببناء امبراطورية عالمية وهو حلم يفوق فى استحالته الآن أكثر المدن الفاضلة تفاؤلا. لقد توفرت لدينا الآن الوسائل التى لم تتوفر لأحد من قبل للحصول على فيض من الضرورات ووسائل الراحة التى نحتاج إليها فى خلق

حياة طيبة كريمة، وإذا تحقق السلام استطاعت روسيا والصين أن تخصصا كل أوجه النشاط المنصرفة الآن إلى التسلح لانتاج البضائع الاستهلاكية .

والمهارة العلمية الهائلة التى تتسبب فى إنتاج الأسلحة النووية تستطيع أن تحيل الصحارى إلى واحات مثمرة وتتسبب فى سقوط الأمطار فى صحراء إفريقية وصحراء جوبى وبالتخلص من الخوف ستنطلق طاقات جديدة وتحلق روح الإنسان عالية وتصبح قادرة على الخلق والإبداع والتجديد، وستتبدد المخاوف القديمة السوداء التى تقبع فى أعماق أذهان الناس.

لن يكون هناك منتصر فى حرب تستخدم القنبلة الهيدروجينية، ويمكننا أن نحيا معا أو نموت معا. وأعتقد اعتقادا راسخا أنه لو أن الذين يدركون منا هذا وهبوا أنفسهم بقوة كافية من أجل هذا العمل فسنستطيع أن نجعل العالم يدركه كذلك . فالشيوعيون والمناهضون للشيوعية على حد سواء يفضلون الحياة على الموت. ولو وكل الأمر إليهم فى وضوح وجلاء لاختاروا التدابير الضرورية للمحافظة على الحياة. وهذا أمل ينطوى على جهد ومشقة لأنه يتطلب من جانب الذين يرون المشكلة منا فى مجملها المعقد المتعرج

إنفاق طاقة هائلة فى الحث والاقناع اللذين يشوبهما دائما الادراك المؤلم بأن الوقت قصير كما يشوبهما التعرض لأغراض الهستريا التى تجىء نتيجة لتأمل خطر الهاوية الممكنة. وعلى الرغم من أن الأمل تكتنفه الصعاب إلا أنه ينبغى أن يكون حيا ماثلا. وينبغى أن نؤمن به إيمانا راسخا برغم ما يمكن أن نتعرض له من تثبيط للهمم. وينبغى أن يلهم هذا الأمل حياة عدد من الناس وربما لايتجاوز قلة ضئيلة فى بادئ الأمر سيكتب لها التزايد تدريجيا حتى يجتمع شمل البشر وهم يطلقون صيحة الفرح العظيمة ليحتفلوا بنهاية القتل المنظم ولارساء قواعد عهد أسعد من أى عصر كان من نصيب الإنسان حتى الآن.

## ب : التعقل والحرب النووية

## مقدمة

فى كتيب لبرتراند راسل صدر عام ١٩٥٩ تحت عنوان «التعقل والحرب النووية» يعلن الحكيم ما يلى :

١ - أسفه على شك الغرب فى نيات الداعين لحملات السلام واتهامه لهم باليسارية وتنفير الرأى العام من القائمين بالدعوة إلى السلام .

٢ - أن مصير الإنسانية معلق فى الميزان من جراء الخطر النووى الداهم وأنه من الضرورى إيجاد حل يضمن للبشرية بقاءها ويقيها من الفناء . فمصير الإنسانية أجل شأنا من المنازعات الايدولوجية بين الغرب والشرق . ويؤكد راسل أن الموازنة أو التفضيل بين النظام البرلمانى الديمقراطى والنظام الديكتاتورى والشيوعى فى هذه الآونة العصيبة كأساس للحياة الاجتماعية على حساب البقاء الإنسانى إن هو إلا عبث ظاهر واستهتار بالقيم الإنسانية .

٣ - إن مشكلة السلام مشكلة العالم بأسره ولابد من تضافر جهود جميع دول العالم لاقراره بما فى ذلك الدول المؤمنة بعدم الانحياز.

### أخطار الحرب النووية

يعرض الجزء الأول من هذا الكتيب لشرح مخاطر الحرب

النووية التى قد تعصف بالوجود الإنساني كله ويعتمد راسل فى تقديره لخطورة الموقف الدولى على تقرير وضعته لجنة خاصة من الخبراء الامريكان تعمل تحت رعاية «الجمعية الامريكية للتخطيط القومى» ويحمل هذا التقرير العنوان التالى «١٩٧٠ من غير رقابة على الاسلحة : مضمون تكنولوجية الاسلحة الحديثة» . وواضعو التقرير كما أشرنا من الخبراء الامريكان وهم بالاضافة إلى ذلك قوم لا علاقة لهم مطلقا بالحملات الموجهة ضد الحرب النووية وبمعنى آخر هم طائفة من الخبراء التى لا يعنيهم التهويل فى أخطار الحرب النووية فى سبيل الدعاية لقضية السلام ، فهدفها الأول والأخير هو استجلاء الحقائق الخاصة بالدمار النووى فى حدود الموضوعية التى يمكن لإنسان أن يتصف بها .

يبنى هذا التقرير فروضه ونتائجه على أساس أن حربا شاملة لن تنشب حتى عام ١٩٧٠ ورغم هذا فالتقرير لا يستبعد احتمال نشوب حرب شاملة . كما يجزم بأن الحرب الشاملة ناشبة لا محالة إذا استمرت الأوضاع فى العالم على ما هى عليه دون التوصل إلى حل آخر . ويخلص راسل من هذا إلى أن هيستيريا الخوف والفزع ستصيب الشعوب وأن نفقات التسلح ستزداد يوما بعد يوم تبعا لذلك . وسيضطر الناس أمام هيستيريا الهلع لقبول الفاقة الاقتصادية .

وسينخفض مستوى المعيشة الراهن فى أمريكا إلى مستوى المعيشة فى كل من آسيا وإفريقية بدلا من أن يرتفع مستوى هاتين القارتين حتى يصل إلى ما أصابته أمريكا من رفاهية ورخاء لو أنصت العالم لصوت الحكمة والعقل واستخدم المعرفة التكنولوجية الحديثة من أجل السلام لا من أجل الاستعداد للحرب .

كما ستؤدى هيستيريا الهلع بطبيعة الحال إلى تقلص الحريات وانكماشها .

لنلق نظرة مع الفيلسوف الكهل إلى ميزانية التسلح كما وردت فى تقرير الخبراء الامريكان . أن أمريكا تنفق ٤٥ بليون دولار على التسلح سنويا . ويقول التقرير فى هذا الصدد (تخصص الولايات المتحدة ١٠٪ من مجموع الانتاج القومى فى الوقت الحاضر للاغراض العسكرية ، وتقدر ميزانية التسلح فى الاتحاد السوفييتى بـ ١٥٪ من جملة الانتاج القومى فيها) .. ويقول راسل أن العالم سيكون قد أنفق حتى عام ١٩٧٠ ما بين ١٥٠٠ بليون و٢٠٠٠ بليون دولار إذا استمر جنون التسلح على هذا المنوال .

ويفضح راسل حلم المستعمرين فى الغرب والشرق ، هذا الحلم المجنون الذى يهدف إلى استخدام الأقمار الصناعية للأغراض العسكرية وذلك بتزويدها بأجهزة حاسبة الكترونية

تجعل من الممكن توقيتها بحيث تمطر الموت وبالاً على أرض الاعداء وتتوقف عند عبورها فوق أرض الاصدقاء .

ويستطرد راسل فيبين كيف أن العسكريين فى الغرب والشرق على حد سواء يعملون على نقل الحرب من كوكب الأرض الذى نعيش عليه إلى الفضاء ويستشهد على ذلك بشهادة الجنرال الامريكى بوت Put التى أدلى بها أمام لجنة خاصة بالقوات المسلحة . فقد شرح الجنرال بوت أمام هذه اللجنة أن سلاح الطيران الامريكى يهدف إلى إقامة قاعدة عسكرية فى القمر كما أوضح فى شهادته المزايا العسكرية الناجمة عن إقامة هذه المنشآت القمرية إذ أن إطلاق قذائف الموت من القمر إلى الأرض لا يحتاج إلى طاقة كبيرة بسبب عدم وجود غلاف جوى حول القمر من ناحية وضعف جاذبيته من ناحية أخرى . وقد صرح الجنرال بوت بالحرف الواحد بأنه «من الممكن أن يزودنا القمر بقاعدة لرد الاعتداء ذات ميزة قصوى على دول الأرض» .. وفى تقديره أن الولايات المتحدة حتى بعد أن تندثر من على سطح الأرض نتيجة لهجوم روسى خاطف عليها تستطيع أن تدمر روسيا وتنتقم لنفسها عن طريق منشآتها فى القمر . وقد أيد وجهة نظر بوت العسكرية هذه ريتشارد . أ . هورنز السكرتير المساعد لسلاح الطيران للبحث والتطوير ورأى فيها خروجا من المأزق

الذى فرضه التسلح النووى على كوكب الأرض . واضطر أحد هذين السيدين الكريمين وهو الجنرال بوت أن يعترف فى آخر الأمر أنه يمكن للاتحاد السوفييتى التوصل إلى إنشاء مثل هذه المحطات على سطح القمر كذلك غير أنه نصح الولايات المتحدة أن تسعى جاهدة إلى السبق فى ميدان غزو الفضاء والمبادرة باحتلال كواكب أخرى مثل المريخ والزهرة نظرا لفوائدها العسكرية الجمة .

والغريب فى الأمر كما يذكر راسل أن مثل هذه الأخبار ظلت فى طى الكتمان بالنسبة للرأى العام وامتنعت الجهات الرسمية عن إذاعتها . ويقول راسل أنه لو لم تنشر المجلة الاسبوعية أى . ف . ستون الصادرة فى ٢٠ اكتوبر عام ١٩٥٨ هذه المعلومات لما أمكنه أن يحيط بها علما . ويفترض راسل أن الاتحاد السوفيتى يفكر فى مثل هذه المشروعات المجنونة وإن كان يجهل كنهها . ويبدى الفيلسوف الكبير اشمئزازه وفزعه من مشروعات العسكريين هذه التى تدنس طهارة السماء وتلطخ الأجرام العلوية باحقاد البشر وضغائنهم الصغيرة ومنازعاتهم الوضيعة التافهة . ويأسى رسل لحال الإنسان الذى يملك من جوانب القوة الشىء الكثير ولكنه لا يتصف بالحكمة فى قليل أو كثير . ولكن الأمل يحدوه

أن يتغلب صوت العقل والتسامح فى هذا العالم المحموم على قوى الشر والظلام.

وفى هذا السفر الصغير يحمل فيلسوف العقل والتسامح حملة شعواء على المنادين بسياسة حافة الهاوية سواء كان المنادى بها دالالس فى الغرب أو غيره فى الشرق ولا يكتفى راسل بالتنديد بهذه السياسة الخرقاء بل يفضح روح الاستهتار التى تتضمنها هذه السياسة فيذكر لنا ما ترامى إلى سمعه من أن أصل سياسة حافة الهاوية مستمد من لعبة يمارسها بعض الشبان المستهترين والمنحرفين فى أمريكا . وتجرى اللعبة على النحو التالى : يختار متنافسان من قائدى السيارات شارعا كبيرا يفصله فى الوسط خط أبيض يمتد بطول الطريق .. وتبدأ اللعبة بأن يتحرك أحد المتنافسين بسيارته فى سرعة جنونية بحيث يكون جانب السيارة التى يتولى قيادتها على طول الخط الأبيض وفى نفس الوقت يتحرك نحوه المنافس الثانى من الاتجاه العكسى على الجانب الآخر من الطريق بنفس السرعة الجنونية وبحيث لا ينحرف . هو أيضا بجانب سيارته عن الخط الأبيض الذى يتوسط الطريق . فإذا حدث أن انحرف أحد المتنافسين بسيارته تفاديا للتصادم المروع والهلاك المحقق عيره زميله بأنه (كتكوت) وكان انحرافه بالسيارة دلالة على جبنه وهوان

شأنه. ويتساءل راسل بأسلوبه الساخر الذى عودنا عليه كيف يمكن للعالم المتمدّن أن ينظر إلى من يمارسون هذه اللعبة التى تؤدى بشابين نظرته إلى مستهترين لا خلاق لهما بينما يمجد الساسة الذين ينقلون لعبة الموت هذه إلى المجال الدولى فيعرضون بذلك مئات الملايين من البشر للفناء ويخلع عليهم رداء الحكمة والحصافة .

ماذا سيحدث إذا نشبت حرب نووية ؟ يجيب راسل عن هذا السؤال بأسلوبه الساخر فيقول إن تقديرات الخبراء متباينة فى هذا الصدد فمنهم من يعتقد أن الحرب النووية لن تهلك الكثير إذ أنها ستفنى نصف البشرية لا غير ومنهم ومن هم أكثر تفاؤلا فيذهبون إلى الاعتقاد بفناء ربع البشر ولكن المتشائمين من الخبراء يرون أن الحرب النووية ستعصف بالوجود الإنسانى من جذوره . ويعلق راسل على هذه التقديرات ساخرا فيقول إننا سنتبين مقدار الصدق فى كل منها بعد نشوب الحرب النووية لا قبلها .

ويهزأ راسل من الفكرة الداعية إلى استخدام «القنبلة النظيفة» فى الحرب القادمة على اعتبار أن غبارها الذرى أقل خطرا على الكيان الانسانى ويتساءل كيف يمكن لنا أن نضمن أن «القنبلة النظيفة» ستستخدم بدلا من القنبلة الأخرى غير النظيفة فى حالة نشوب حرب .

لابد أن يفهم رجال السياسة فى العالم أن الشعوب ترغب فى البقاء وأنها لا تكترث كثيرا بالمنازعات الايدلوجية وأن الجانب السياسى فى حياة الإنسان طفيف كما ينبغى على الساسة فى العالم أن يدركوا الوشائج التى لا تنفصم والتى تربط الكيان الإنسانى غربا وشرقا فالانسانية جمعاء تجمعها وحدة الآمال والإفراح والاحزان . حتى الإنسان الذى يعيش فى البلاد التى يتلقى أهلها تعليما سياسيا ينصرف إلى مشاكل الحياة اليومية بعيدا عن السياسة ومنازعاتها فهو يأكل وينام ويحب ويقيم عواطف إنسانية تربطه بأهله وعشيرته كما أنه يجب أن يفهم رجال السياسة مدلول هذه الحقيقة حتى لا يقيموا الدنيا ويقعدوها بعجيجهم الزائف عن مدى الخلاف بين النظام الديمقراطى والنظام الشيوعى . إن الذين يرضون لأنفسهم وللجنس البشرى الهلاك سواء فى الغرب أو فى الشرق لأنهم يفضلون الموت على الخضوع لنظام اجتماعى واقتصادى وسياسى يكرهونه هم فئة قليلة مريضة بالمشاحنات السياسية .

ويعجب راسل من زيف أو غفلة بعض الغربيين الذين يبدون استعدادهم للتورط فى حرب نووية دفاعاً عن الحرية الديمقراطية ويتحداهم أن يستفتوا شعوب الأرض قاطبة فى هذا الشأن ، وأن يطرحوا السؤال التالى على كل فرد من

أفراد الأرض حتى يتبينوا بأنفسهم إذا كانوا يمثلون ارادة الشعوب ورغباتها أولا .. أتفضل أن تعيش تحت نظام سياسي واقتصادي يختلف عن النظام الذى تعيش فيه أو تفضل القضاء على الإنسانية بأسرها ؟ ولو أننا طرحنا هذا السؤال على أى إنسان لاتهمنا بالجنون ورمانا باللوثة وهو محق فى ذلك فبناء الإنسانية وسلامتها من الفناء فوق كل اعتبار .

## الخروج من المأزق النووى

ما الحل اذن ؟ لابد من تقارب في وجهات النظر الدولية لابد أن تعيد إلى أذهاننا الدروس التى تعلمناها فى القرنين السابع والثامن عشر وهى الانصات إلى صوت العقل والتسامح . لقد نسينا الدرس الذى تلقيناه على يد «لوك» فيلسوف العقل والتسامح فى القرن الثامن عشر . لقد كنا عقلاء عندما تسامحنا في الأديان وعندما آمنا بأن الحقائق الدينية يمكنها أن تعيش جنبا إلى جنب فى وئام وسلام . وأن الحروب الدينية أقر من آثار الماضى البغيض . لقد تعلم المسيحيون والمسلمون أن يعيشوا جنبا إلى جنب كما أدرك الكاثوليك والبروتستانت حماقة إراقة الدماء بسبب الخلاف العقائدى ولكننا لم ندرك حتى الآن أهمية العقل والتسامح فى المجال السياسى .

على الدول الكبرى أن تسعى مخلصة إلى إقرار السلام لا إلى المناورات السياسية التى تهدف إلى تسجيل انتصارات دبلوماسية فى حرب الدعاية . وراسل لا يطالب أية دولة من الدول الكبرى بأن تتنازل أو تتخلى عما تراه مصلحة حيوية لها كما أنه لا يطالبها بالاستسلام من أجل صيانة السلام . يؤكد راسل أن هذا غير معقول وغير منتظر بأية حال من الأحوال . ولذلك يقترح ضرورة تجميد الأوضاع الراهنة فى العالم والاحتفاظ بميزان القوى الدولى فى الوقت الحاضر ويهدف راسل بتجميد الأوضاع إلى تخفيف حدة التوتر العالمى تفاديا للمزيد من القلاقل والمنازعات التى تثيرها صحف الحرب الباردة . وليس معنى هذا أن يظل ميزان القوى على ما هو عليه . ولكن هذه التغييرات لابد أن تتم بالطرق السلمية دون الالتجاء إلى الحروب ودون التهديد بها . والاحتفاظ بميزان القوى كما هو عليه فى الوقت الحاضر ليس إلا خطوة تمهيدية من شأنها أن تخلق الجو المناسب لزيادة التفاهم الدولى توطئة للوصول إلى حل شامل لكل المشاكل الدولية .

ويقترح راسل أن يبدأ طرفا النزاع بإصدار بيان يتعهدان فيه بنبذ سياسة العنف وبعدم الالتجاء إلى الحرب كأساس لحل المشاكل الدولية كما يتعهدان بصيانة ميزان القوى

الدولى كما هو عليه وبعدم السعى إلى تغييره عن طريق الإثارة والتحريض . كما يقترح راسل ضرورة ايقاف التجارب النووية وقبول الطرفين لمبدأ الخضوع للرقابة والتفتيش على الاسلحة بعد أن يتخلص الجانبان من تلك الريبة المتبادلة التى تقف حجر عثرة فى سبيل الوصول إلى تسوية سلمية للمشاكل الدولية .

وينصح راسل بإقامة هيئة مشتركة دائمة للوساطة والمفاوضات بين الغرب والشرق . لا تهدف إلى إيجاد الحلول بل إلى الاستطلاع والاستكشاف تمهيدا لايجاد الحلول ويمعنى آخر أن الهدف من تكوين هذه الهيئة هو خلق جو من الثقة المتبادلة . ويقترح راسل أن تكون هذه الهيئة محدودة الاعضاء بحيث لا تزيد عن ستة أعضاء: عضوين من الولايات المتحدة وعضوين من الاتحاد السوفيتى وعضو يمثل الغرب وعضو آخر يمثل الصين الشعبية وبالاضافة إلى هؤلاء يعين عضوان آخران من دول الحياد ولضمان العدالة فى ميزان قوى هذه الهيئة يختار أحد العضوين الحياديين من بلد تميل إلى الاتحاد السوفيتى والعضو الآخر من بلد حيادية تميل إلى الولايات المتحدة .

وهدف راسل من تقليل أعضاء هيئة الوساطة والتفاوض هو التأكد من عدم تحولها فى نهاية الأمر إلى منبر من منابر

الدعاية وحلبة يستعرض فيها المتصارعون عضلاتهم الخطابية. ويشترط راسل أن يتمتع الأعضاء المعينون بثقة الحكومات التى يمثلون مصالحها . وتوفر هذه الثقة فى الاعضاء تعتبر جوهرية حتى لا تشك الحكومات المعنية فى طبيعة المقترحات أو التوصيات التى قد تتوصل إليها هذه الهيئة . ويشرح راسل الدور الذى ينبغى على الدولتين الحيادتين الممثلتين أن تلعباه فيقول أن وظيفة ممثليها هى السعى إلى تقريب وجهات النظر بين الغرب والشرق إذا بدا أن هوة الخلاف بينهما تتسع كما أن عليهما التأكد من أن المقترحات المطروحة للبحث لا تنطوى على افتئان جانب على مصالح الجانب الآخر . ويجب على الدول الاعضاء إعفاء ممثليها فى الهيئة من كافة المسئوليات الإدارية حتى يتسنى لهم التفرغ لأعمال الاستطلاع والتفاوض ودراسة المشكلات المعلقة دراسة مستفيضة . وينبغى على الهيئة أن تعمل فى صمت بعيدا عن أضواء الصحافة وأجهزة الدعاية والاعلان حتى يكون الهدف من اجتماعهم هو الوصول إلى الحقيقة لا إلى تسجيل انتصارات دبلوماسية . وعلى الاعضاء الستة أن يجتمعوا بصفة متكررة بالطرق الرسمية وغير الرسمية ولا يحق لأى من الاعضاء إذاعة شىء عن نتيجة هذه المشاورات إلا بعد أن تكون جميع الاطراف قد اتفقت عليه . وعلى اللجنة

أن تمسح مشاكل العالم كلها ومصالحه المتعارضة في موضوعية وأن تحاول الوصول إلى تسويات ليس من شأنها في مجموعها أن تضر بمصلحة أحد . وإذا خسرت دولة مصلحة أو فائدة معينة في جزء ما من العالم فعلى الهيئة أن تجد سبيلا لتعويض هذه الدولة عن خسارتها في جزء آخر منه . كما أنه على الهيئة النظر إلى مشاكل العالم كوحدة لا تتجزأ لا كمشاكل متفرقة وأجزاء منفصلة . ولابد للهيئة أن تحترم ارادة شعوب الارض كلما أمكن ذلك . فلكل شعب مطلق الحرية في اتباع نظام الحكم دون الآخر . ولكن راسل يستثني من من ذلك بعض الحالات النادرة والشاذة وهي التي يقتضي تحقيق ارادة شعب ما إلى تشكيل خطر داهم وتهديد سافر لمصالح أحد أطراف النزاع فليس من المعقول بأية حال أن تسمح الولايات المتحدة لشعب بنما (على سبيل المثال) أن يقيم حكومة شيوعية على أراضيه لأن في هذا تهديدا مباشرا لمصلحة هذه الدولة الكبرى وهي لن تسكت عليه بطبيعة الحال. ويعود راسل فيؤكد أنه لا يطالب أيا من المعسكرين المتنازعين بالتضحية بمزايا يرى أنها حيوية بل هو يطالب فقط بتنسيق هذه المصالح بحيث لا يلحق ضررا بأي جانب في المجموع .

هناك مشكلتان لابد للهيئة أن توليهما عنايتها . (أولا) لابد

من نزع السلاح ولابد من العمل على عدم توسيع رقعة النشاط الذرى فمن الخطر على السلام أن تتسع دائرة الدول المنتجة للأسلحة النووية ولابد من الاقتصار فى انتاج الاسلحة الذرية على أمريكا وروسيا إلى حين الوصول إلى تسوية عامة دولية . (ثانيا) لابد من اجراء بعض التعديلات فى الحدود الاقليمية لبعض الدول . وقد تسخط هذه التعديلات فى الحدود الاقليمية بعض الدول ولكن يجب إرغام هذه الدول على قبولها إذا كانت فى صالح السلام العالمى . وحل هاتين المشكلتين حلا ناجحا رهيناً بإقامة حكومة عالمية .

## مشكلات عالمية لابد لها من حل

قبل أن نتعرض لمشروع راسل بإقامة حكومة عالمية وموقف هذه الحكومة من الحكومات المحلية لابد لنا من أن نستعرض رأيه فى بعض المشاكل الدولية التى يرى فى حلها دعامة للسلام العالمى . يقسم راسل المشاكل الدولية الحساسة فى العالم الحديث إلى ثلاث مناطق :

١ - منطقة أوروبا : وأهم مشاكلها توحيد ألمانيا . وفى نظر راسل أن السلام لا يمكن أن يدوم إلا إذا اتحدت المانيا ولكن شعوب روسيا تشعر بالقلق الشديد نحو إعادة تسليح ألمانيا فخبرات روسيا مع المانيا فى الحربين العالميتين تبرر هذا القلق فهو قلق طبيعى مفهوم ولابد لروسيا أن تأمن جانب

المانيا . ولذلك يقترح راسل الحد من تسليح ألمانيا بحيث لا تصبح خطرا يهدد الاتحاد السوفييتى كما كانت فى الماضى.

ويذهب راسل إلى أبعد من ذلك فيقترح نزع السلاح من وسط أوروبا وتصفية القواعد العسكرية فى غرب أوروبا وشرقها . حقيقة أن أمريكا لا تستطيع أن تصل إلى غريمتها روسيا إلا عن طريق إنشاء قواعد ذرية فى غرب اوروبا وإنها بتصفيتها لهذه القواعد تضحى بجانب ممتاز من مركزها الاستراتيجى . ولكن الولايات المتحدة ستحصل على ما يعادل هذه الخسارة من الفوائد فعندما ترتفع القبضة الروسية عن شرق أوروبا ستتخلى بعض الدول الشرقية عن الحكم الشيوعى مثل ألمانيا الشرقية والمجر وربما بولندا وتفضل عليه نظاما اشتراكيا برلمانيا.

٢ - الشرق الأوسط : ينحى راسل باللائمة على الغرب لأنه يناصب القومية الغربية العداء لأن هذا قد أعطى للاتحاد السوفييتى فرصة لكى يظهر بمظهر الصديق للدول العربية ويقترح راسل أن تحمى الدول الكبرى أية دولة فى المنطقة ضد توسع دولة أخرى.

٣ - منطقة شرق آسيا : لا يرى راسل حكمة فى استبعاد الصين الشيوعية من الأمم المتحدة وعلى الرغم من أنه يتهم الصين الشعبية بالنيات التوسعية إلا أنه غير راض عن

تجاهل الغرب لحقيقة الأمر الواقع واصراره على التعامل مع تشاى كأى شك باعتبار أنه الممثل الشرعى للصين ويتناول راسل مشكلة فرموزا فيقول أن فرموزا لابد أن تعود فى نهاية الأمـــر إلى الصين ، الأرض الأم ولكنه ينصح بأن تعطى فرموزا لتشاى كأى شك مدى الحياة لتصبح بعد وفاته جزءا لا يتجزأ من الأراضى الصينية .

## الحكومة العالمية

عندما يتوافر الجو المناسب يقترح راسل إنشاء حكومة عالمية . وقد نخطىء فنظن أن الدعوة لحكومة عالمية دعوة يسارية أو قريبة من اليسارية وليس هذا بالصحيح فقد دافع فريق من حزب المحافظين البريطانى عن قيام حكومة عالمية ورأوا فى إنشاء هذه الحكومة الحل الحاسم لكل مشاكل الانسانية وأصدر عشرة من أعضاء البرلمان المحافظين كتيبا بعنوان (سلطة للأمن العالمى) يشرحون فيه وجهة نظرهم الخاصة بانشاء حكومة عالمية وهم يعتمدون فى دعوتهم على بيانات وتصرحيات أدلى بها ماكميلان ودنكان ساندز وزير الدفاع البريطانى . ويدرك راسل الصعاب التى تعترض تنفيذ مثل هذا المشروع وهو يدرك أيضا أنه مشروع أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة فى الوقت الحاضر . ولكنه يريد من الإنسانية أن تسعى إلى تحقيق هذا الهدف الكبير .

يقـول راسل أنه على الرغم من فـشل عـصبـة الأمم فى الماضى والأمم المتـحدة فى الوقت الحاضـر فـى اقرار السلام إلا أنه مـن الممكن تطوير الأمم المتـحـدة بحـيث تصـبح نواة لحكومة عالمية .

وفيما يلى مقترحات راسل بصدد هذه الحكومة العالمية :

١ - لابد من أن تكون لهذه الهيئة بسلطة تنفيذية تستطيع بها وضع قراراتها موضع التنفيذ ولابد لهذه الهيئة العالمية من إنشاء جيش عالمى قوى يضمن للقرارات الدولية الاحترام والتنفيذ .

٢ - يقـتـرح راسل تقسيم العـالم إلى مناطق فـيدرالية يراعى فيها التساوى فى عدد السكان بقدر الإمكان وتسمى هذه المناطق بالفيدراليات وليست الحكومة العالمية إلا اتحادا عاما لهذه الفيدراليات والغرض من مراعاة التساوى فى عدد الكسـان فى حدود الإمكان هو ضـمـان تمثـيل إرادة العـالم تمثـيلا صـحيحـا فليس من المعقول أن يكون لمنطقة أو دولة صغيرة فى تعداد سكانها مثلما يكون لدولة كبيرة مكتظة بالسكان فى قـدرتهـا على التـأثيـر فى القـرارات الدوليـة . وتخـضع هذه الفيـدراليـات لسلطة عليـا هى سلطة الحكومـة العالمية .

٣ - يجب إلغاء حق الفيـتو المعمول به فى مـجلس الأمن

الذى لا يضم سوى حفنة من الدول ، فمن شأن حق الفيتو أن يعطل تنفيذ سائر القرارات التى يكاد يجمع عليها المجلس حينما يحلو لدولة ممثلة فى المجلس أن تقوض أركان هذه القرارات .

٤ – بما أن الغرض الاساسى من إنشاء حكومة عالمية هو اقرار السلام فليس من حق هذه الحكومة العالمية أن تتدخل فى المسائل الداخلية لأية دولة فيدرالية فلها أن تختار أى دين وأى نظام اجتماعى وسياسى واقتصادى يحلو لها .

٥ – الغرض من إنشاء قوة ضاربة تابعة للأمم المتحدة أو الحكومة العالمية هو القضاء على كل محاولة من جانب أية فيدرالية لتعكير صفو السلام العالمى . وتصبح الاسلحة الذرية حكرا للحكومة العالمية . ودور السلاح الذرى فى العالم الحديث هو نفس الدور الذى لعبه البارود فى الماضى وهو منع أية دولة قد يعن لها الاستقلال عن الحكومة المركزية . ففى الماضى كان الامراء والاقطاعيون . يحتمون بقلاعهم متحدين سلطة الحكومة المركزية ولكن البارود مكن الحكومة المركزية من السيطرة والضرب على أيدى من تسول لهم أنفسهم الاستقلال والانفصال .

٦ – لابد أن يراعى فى تكوين وحدات القوات المسلحة التابعة للحكومة العالمية أن تشتمل كل وحدة على كل

الجنسيات فى العالم .

ويهدف راسل من هذا الاختلاط إلى منع الجنود التابعين لجنسية واحدة من التكتل فى صعيد واحد فلو أن الهيئة العالمية أصدرت لوحدة من وحدات جيشها أمرا بالتحرك للعمل ضد دولة تحاول تعكير صفو السلام العالمى وكانت كل هذه الوحدة أو غالبيتها تنتمى إلى هذه الدولة الخارجة عن القانون الدولى لعمدت إلى التلكؤ فى تنفيذ الأوامر أو تعطيلها إذا كان ذلك فى مقدورها .

وعندما يقترح راسل على الحكومة العالمية أن تحتكر السلاح النووى فهو لا يفكر فى استخدامه ضد أية منطقة يثبت أنها ترفض الخضوع لأحكام القانون الدولى فالدولة المشاغبة فى نظره هى فى وضع المجرمين العاديين بالنسبة للدولة التى يعيشون فيها والدول لا تلجأ إلى استخدام الجيش وعتادها الحربى لتعاقب المجرمين والخارجين على القانون والضرب على أيديهم .

٧ - لعل أخطر اعتراض على إنشاء حكومة عالمية هو أن القوة الضاربة المسلحة التابعة لها قد يعن لها القيام بانقلاب للسيطرة على مقاليد الحكم فى العالم وللضغط على السلطات المدنية ويعترف راسل أنه من الناحية النظرية يجوز حدوث هذا الأمر ولكنه ينصح باتباع الطرق المعروفة التى تمكن

للسلطة المدنية حتى فى ألمانيا النازية وروسيا الشيوعية والولايات المتحدة الاحتفاظ باستقلالها عن أجهزة الجيش وسيطرتها .

## لابد من تغييرات هامة فى تفكير الإنسان الحديث

لابد للعالم أن يعيد النظر فى أسلوب تفكيره من جديد ولابد له أن يختط أسلوبا جديداً يتمشى ومقتضيات العصر الحديث . لابد للعالم أن ينصت إلى صوت العقل والتسامح ولابد له من نبذ التعصب الذى يعمى الإنسان عن فضائل غيره ويؤدى إلى تمجيد الإنسان لفضائله التى يتوهم أنه يتحلى بها دون خلق الله . والإنسان المتعصب موقن أنه على صواب وأن غيره على خطأ دون أن يخطر له أننا جميعا بشر غير منزهين عن الخطأ .

وفى معرض حديثه عن القومية يرى راسل أنها مشروعة إذا كانت تناضل عن الحرية والاستقلال ضد دولة غاصبة ولكنه لا يقبل بحال أن تتحول هذه القومية إلى قوة معتدية تسعى إلى التوسع والسيطرة . ويدفع راسل عن نفسه تهمة الايمان بالمسالمة التى تبلغ مبلغ الاستسلام فيقول إنه لم يكن فى أى يوم من الأيام من المؤمنين بمبدأ مهادنة الاعداء والخضوع لهم كغيره من دعاة السلام ففى نظره أن الحرب

مشروعة واجبة في بعض الحالات وهو لا يقبل أن يتكرر في العصر الحديث ما حدث في الماضي عندما قوضت جحافل البربر أركان الحضارة في الدولة الرومانية ويطالب راسل بإجراء تغيير شامل في نظرة العالم التعليمية ، فهي في الوقت الحاضرة نظرة ضيقة تقوم على التعصب والأفق المحدود ومن رأيه أن ينال علم التاريخ بالذات جانبا جوهريا من التغيير فقد درجت كتب التاريخ في جميع الدول على تمجيد تاريخها والتعصب لاسلوب حياتها والمبالغة في شأن الدور الذي لعبته في إقامة الكيان الحضاري . يجب على كل إنسان أن يدرك سخافة هذا التفكير وأن يدرك أن الحضارة الإنسانية والتقدم البشري لم يقوما على أكتاف دولة معينة دون دول العالم فقد أسهمت كل الإنسانية في بناء صرح الحضارة ومن العبث أن تفخر أية دولة بأنها أرست قواعد هذا الكيان الحضاري فهذه النظرية تفرق ولا تجمع ، تنشر العداوة ولا تبذر الحب .

يقول راسل إنه سبق له في الماضي أن أقترح أن تقوم المدارس والمعاهد التعليمية بتدريس كتب تاريخ قام بكتابتها أجانب وعندما يقترح رسل تدريس الكتب التي قام بتأليفها أجانب

يدرك تماما أن هذه الكتب متحيزة كسائر الكتب

الأخرى ودفاعه الجدلى عن هذا هو أن كتب التاريخ المقررة أصلا مليئة بالمغالطات والتحيز، وأن التحيز الموجود فى كتب الأجانب للتاريخ سيعادل الأثر السىء الذى قد خلفته الكتب الأصلية .

ولابد لروح المغامرة فى الانسان أن تجد لها تنفيسا غير الحرب والعلم الحديث بإمكانياته الهائلة التى لا تحد، يمكنه أن يستنفد فى الانسان طاقة المغامرة والكشف والاستطلاع ولو أمكن العالم أن يستبدل الرغبة فى المغامرة والكشف العلميين بالقتال والحرب لحظيت الانسانية بسعادة عظمى .

# موقف راسل من الحرب العالمة الثالثة
# من كتابه «هل للإنسان مستقبل؟»

سـأبدأ بأن أطلب من القـارئ أن ينسى فى هذه اللحظة الراهنة تفاصيل التاريخ الحديث، والاحتمالات السياسية التى يتضمنها المستقبل القريب . وسأطلب منه أيضا أن ينسى ما يحب وما يكره ما يفضل وما يمقت، كما ينسى معتقداته الأخلاقية فيما هو خير وما هو شر . فأنا أحب أن أضع فى الاعتبار هنا ، بطريقة علمية محضة وأسلوب بعيد عن التحيز تماما ، الشروط التى لابد من توافرها لكى يقدر للإنسان أن يستمر حيا لأجل طويل .

وفيما يتعلق بالشروط الطبيعية . يبدو أنه ليس هناك سبب وجيه للاعتقاد بأن الحياة، بما فيها الحياة الانسانية، لن تستمر لعدة ملايين من الأعوام، فالخطر لا يكمن فى بيئة الإنسان الطبيعية أو البيولوجية بل فى

(١) يدأب برتراند رسل علي ترديد هذه الفكرة في كتاباته، وهو يري أن استمرار الحياة علي سطح الأرض رغم كل الحروب الماضية كان نتيجة لنعمة جهل الانسان وعدم كفاءته فيما يتعلق بوسائل الدمار.. أما الآن وقد تبدد جهله وامتلك الوسائل العلمية الفتاكة فيمكنه القضاء علي الجنس البشري بأكمله . «المترجم»

الإنسان نفسه. لقد أمكن للإنسان أن يبقى على قيد الحياة حتى الآن بسبب جهله (١) . أما وقد فقد هذا القدر المفيد من الجهل، فهل يمكنه أن يستمر فى البقاء على قيد الحياة؟

هناك نوع من البقاء المؤقت بعض الشىء ، وهو أمر ليس بعيد الاحتمال كلية . فمن الجائز أن تترك حرب نووية فى المستقبل القريب بعض الناس على قيد الحياة، ولكنها لن تبقى على أى شىء من أجهزة الحضارة. وقد يظل الشغل الشاغل للباقين على قيد الحياة منحصرا لمدى طويل فى الحصول على الطعام، كما يجوز أن ينتهى الأمر بالأنظمة الاجتماعية الى الزوال التام من حياتهم ، وأن يصبحوا عاجزين تماما عن نقل المعرفة والأساليب العلمية إلى الأجيال القادمة .

فى مثل هذه الظروف، قديكرر الانسان تاريخ المائة ألف عام الماضية، فبعد أن يتوصل فى نهاية المطاف إلى ما وصلنا إليه من حكمة ى الوقت الحاضر قد يعجل للمرة الثانية بالسقوط، عن طريق تورطه فى حماقة تضارع حماقتنا . هذه صورة ممكنة الوقوع لبقاء الإنسان على قيد الحياة، ولكنها ليست بالصورة التى تبعث على الكثير من الارتياح .

وإذا افترضنا أن الإنسان سيظل قادرا على الأساليب العلمية، فما هي الطرق الممكنة التي قد يتوصل بها للهرب من الدمار الشامل؟ ونحن الآن بصدد سؤال أكثر تحديدا من السؤال التالي : «هل يمكن للإنسان أن يبقى على قيد الحياة؟» ، فنحن الآن نسأل : «هل يمكن للإنسان العلمي أن يبقى على قيد الحياة؟» . إنني لا أثير مجرد السؤال عما إذا كان سيستمر على قيد الحياة خلال العشرة أعوام القادمة، ولا حتى المائة عام القادمة. فقد يتحايل الإنسان على البقاء حيا خلال فترات من الخطر الجسيم ، ويحالفه في هذا الحظ السعيد. ولكن لا يمكن أن نتوقع أن يستمر الحظ السعيد حليفا له إلى الأبد. وسواء طال الوقت أم قصر، فإن المخاطر التي يسمح الإنسان لها بالاستمرار ستقتص منه .

لهذه الأسباب ، اخشى أن يكون في حكم المؤكد، أن الإنسان العلمي لن يبقى على قيد الحياة طويلا إذا قدر للفوضى الدولية الحاضرة أن تستمر . وطالما أن القوات المسلحة تأتمر بأمر أمم بمفردها، وبأمر مجموعات من الأمم ليست على درجة كافية من القوة لكي تخضع العالم بأسره لسيطرة لا ينازعها فيها منازع - طالما أن

هذا الوضع قائم فإنه يكاد يكون من المؤكد أن الحرب ستنشب إن آجلا أو عاجلا ، وطالما أن الأسلوب العلمى مازال مستمرا ، فستزداد الحرب قدرة على الفتك والتدمير .

## «آلة يوم الحشر»

هناك بالفعل امكانيات تقشعر من هولها أبدان حتى المدافعين عن القنابل الهيدروجينية. فـ «آلة يوم الحشر» التى تستطيع أن تفنينا جميعا يمكن صنعها، بل لقد تم صنعها بالفعل حسبما نعلم .

وأرخص نوع للدمار اقترح حتى الآن هو قنبلة الكوبالت. وهى تشبه تماما القنبلة الهيدروجينية الموجودة حاليا، ولا تختلف عن سوى أن غلافها الخارجى يتكون من الكوبالت وليس من اليورانيوم . وسينتج عن تفجير هذه القنبلة ضرب مشع من الكوبالت، يندثر ببطء. ولو فجر عدد كاف من قنابل الكوبالت لاندثر سكان العالم برمتهم فى ظرف سنوات قليلة .

ولا تعدو قنبلة الكوبالت أن تكون وسيلة واحدة لاغير من وسائل الإبادة والفناء . فمهارات الإنسان فى الوقت الحاضر تستطيع أن تستحدث الكثير جدا من هذه

الوسائل، ومن غير المستبعد ألا تتورع الحكومات الحاضرة عن استعمال بعضها .

ولمثل هذه الأسباب، يبدو من المؤكد أن الإنسان العلمى لن يستطيع أن يظل على قيد الحياة لمدى طويل، مالم توضع كل الأسلحة الأساسية للحرب وكل وسائل التدمير الشامل فى أيدى سلطة واحدة، تصبح نتيجة لاحتكار السلاح ذات قوة ضاربة لا سبيل إلى مقاومتها، وإذا حدث أن تعرضت للتحدى المفضى إلى الحرب استطاعت أن تسحق أى تمرد على سلطانها خلال أيام محدودة دون أن يصاب أحد غير المتمردين أنفسهم بأذى كبير . ويبدو من الواضح أن هذا شرط لا غنى عنه مطلقا لاستمرار الحياة فى عالم يملك؛ فى حوزته المهارة العلمية .

هناك طرق مختلفة قد يتحقق بها مثل هذا العالم . فلو أن أحد الجانبين كان يملك القنبلة الهيدروجينية ، وذلك قبل أن يتوصل الجانب الآخر الى اكتشافها لكان من الجائز أن يتحقق هذا العالم بفعل حرب نووية يخرج منها هذا الجانب مظفرا، ويكون قادرا على إملاء إرادته دون أن تواجهه مقارمة مجدية . هذا الاحتمال لم يعد له وجود . ولا يستطيع أحد أن يقدر على وجه التأكيد مدى

الدمار الذى تسببه حرب نووية تستعمل فيها الأسلحة الراهنة . ويجب علينا جميعا أن نأمل فى استمرار هذه الحالة التى ينعدم فيها التأكيد .

من الممكن بعد حرب نووية بين دول حلف شمال الاطلنطى وبين دول حلف وارسو، أن تحتفظ بعض الدول المحايدة بدرجة من التماسك الاجتماعى تساعدها على أن تحفظ الحضارة من الاندثار فإذا جعلت الصين الحكمة رائدها وبقيت على الحياد فى مثل هذه الحرب، وإذا هبت الريح من الشرق طيلة الأيام القليلة التى تستمر فيها الحرب، فقد تصبح الصين فى وضع يسمح لها بالسيطرة على العالم. أما إذا كانت الصين إحدى الدول المتقاتلة، أو إذا هبت الريح من الغرب فإن سيادة العالم قد تكون من نصيب حلف يضم جنوب إفريقيا واستراليا .

وفى أى من هذه الحالات ، قد ترغم الأمة أو الأمم الباقية على قيد الحياة فلول السكان القليلة فى الدول التى كانت دولا كبرى فى يوم من الأيام على الاستسلام والخضوع لحكم استبدادى فى عالم تستحيل فيه مقاومة سلطان الدول التى قدر لها البقاء .

هذه، فيما نتصور، احدى الطرق التى قد يمكن توحد

العالم بها . وهى ليست بالطريقة البهيجة، كما أنها ليست بالتأكيد السبيل الذى ترحب به أى من الدول الكبرى التى تملك الآن الأسلحة النووية . وعلى أية حال، فأنا لا أعتقد على الإطلاق فى احتمال وقوع مثل هذه النتيجة الناجمة عن حرب نووية، إذ أن الاحتمال الأكبر ومثير أن يصبح الكيان الحضارى مستحيلاً فى البلاد المحايدة والبلاد المحاربة على السواء .

## السبيل الي منع الحرب

سيكون السبيل المرغبو فيه أكثر من هذا بكثير والذى يضمن الحصول على سلام عالمي، عن طريق الاتفاق بين الدول طواعية واختيارا لكى تجمع ماالديها من قوات مسلحة، وتخضع لهيمنة سلطة دولية متفق عليها . وقد يبدو هذا فى الوقت الحاضر أملا بعيدا وخياليا، ولكن هناك ساسة عمليون يعتقدون عكس ذلك .

فقد قال المستر ماكميلان (فى مجلس النواب فى مارس ١٩٥٥) عندما كان وزيرا للدفاع متحدثا بلسان الحكومة:

«بالنسبة لمشكلة نزع السلاح بأسرها فإن غرضنا بسيط، وسجلنا نظيف، إن نزع السلاح الحقيقى يجب. أن ينهض على مبدأين بسيطين ولكنهما حيويين. يجب

أولا يكون شاملا، وأعنى بهذا أنه يجب أن يشمل كافة الأسلحة، القديم منها والجديد، التقليد وغير التقليدى . ويجب أن تمدنا الهيئة المسيطرة على نزع السلاح بسلطة دولية فعالة - أو فوق القومية - إذا شئنا هذا التعبير - تتمتع بقوة حقيقية. وقد يقول أعضاء المجلس الموقرون إن هذا معناه رفع مكانة الأمم المتحدة، أو أية سلطة غيرها، حتى تتحول إلى نوع من الحكومة العالمية.، ولو تم هذا لما كان فى الأمر ما يضير . وسيكون هذا على المدى البعيد المخرج الوحيد أمام الإنسانية » .

وأستطيع أن أذكر أناسا آخرين عبروا عن آراء مماثلة وليسوا من الحاكمين ولا هم يفتقرون إلى الحنكة السياسية، ولكنى لست مهتماً فى الوقت الحاضر ببحث الإمكانية العلمية لخلق حكومة عالمية ولكنى مشغول باستمرار بقاء المجتمع المتحضر.

من الممكن خلق نوع ما من الحكومة العالمية دون أن يتحقق استقرار السلام العالمى . قد يحدث هذا مثلا لو أن الدول المختلفة، التى تشترك بالإسهام فى القوة المسلحة للحكومة العالمية، أمدت هذه الهيئة بفرق عسكرية قومية قد تحتفظ بوحدتها القومية لحكومتها

القومية فى وقت الشدة والأزمات بدلا من أن تدين بالولاء لسلطة دولية . ولعل من الجدير بالذكر أن نقدم مجملا «لدستور عالمى» من الممكن وضعه بحيث يستهدف تجنب مثل هذه الأخطار. وهذا المجمل مجرد اقتراح بطبيعة الحال، وهو ليس بالنبوءة بكل تأكيد . فغرضى فحسب هو أن أوضح أن وضع دستور عالمى لمنع الحرب مسألة ممكنة.

## سلطة عسكرية عليا

إذا شاءت الحكومة العالمية أن تؤدى وظيفتها ، فيجب أن يكون لها سلطة تشريعية ، وأخرى تنفيذية، وأن تكون لها سلطة عسكرية لا سبيل الى مقاومتها . والقوة العسكرية التى لا تقاوم هى أهم الشروط ، وهى أيضا أكثرها صعوبة عند التنفيذ . ولذلك فسأبدأ بمعالجتها .

ستجد كافة الدول نفسها ملزمة بالوصول الى اتفاق من شأنه أن يخفض القوات المسلحة فى أية دولة الى المستوى الضرورى لأعمال البوليس الداخلية . وينبغى الا يسمح لأية دولة أن تحتفظ بالأسلحة النووية أو أية وسيلة أخرى للخراب الشامل . وينبغى أن تكون للحكومة العالمية سلطة التجنيد من كل دولة ، وسلطة

صنع ما تراه لازما من الأسلحة. وفى عالم سينزع السلاح عن الدول المنفصلة فيه، لن توجد ضرورة لكى تكون القوات العسكرية للحكومة العالمية كبيرة للغاية، ولن تشكل هذه القوات عبئا باهظ التكاليف على كاهل مختلف الأعضاء .

ومن الضرورى لمنع الانحراف نحو الولاء القومى فى أى جزء من القوات الدولية أن تشتمل كل وحدة كبيرة بعض الشيء على جنسيات مختلفة . فلا ينبغى أن تكون هناك فرق أوروبية أو فرق أسيوية أو فرق إفريقية أو فرق أمريكية. بل ينبغى أن يكون هناك. فى كل مكان وكلما أمكن ذلك مزيج متعادل من الجنسيات (١) . وينبغى أن نعطى القيادات العليا، كلما استطعنا الى ذلك سبيلا ، الى أناس من دول صغيرة لايداعبها الأمل فى السيطرة على العالم . ولابد بطبيعة الحال من أن يتوفر للحكومة العالمية الحق فى التفتيش حتى تضمن أن نصوص نزع السلاح متبعة ومعمول بها فى كل دولة.

وبطبيعة الحال . سيكون دستور الهيئة التشريعية

(١) هذه الفكرة سبق لبرتراند راسل أن رددها في كتابه «التعقل والحرب النووية .
Coommonsense and Nuclear Warfare المترجم .

دستورا فيدراليا، وينبغي على الدول المنفصلة أن تحافظ على استقلالها فى كل شىء لا يتعلق بالحرب أو السلام. وتجابه أى دستور فيدرالى صعوبة عندما تكون الوحدات مختلفة جدا فى الحجم. هل ينبغى عند التمثيل أن يكون لكل وحدة نفس الحق فى التصويت أم أن تتناسب القدرة التصويتية مع عدد السكان؟

لقد أمكن فى أمريكا كما نعرف جميعا التوصل الى حل وسط بارع، وذلك بتطبيق مبدأ التمثيل على مجلس الشيوخ وآخر على مجلس النواب. ولكنى أعتقد على أية حال أنه من الأصلح تطبيق مبدأ مغاير لما هو متبع فى الولايات المتحدة عند إنشاء مجلس التشريع العالمى .

أعتقد أنه ينبغى أن تكون هناك فيدراليات فرعية متساوية فى عدد سكانها على وجه التقريب ، كما ينبغى إنشاء هذه الفيدراليات بحيث يتوخى فيها أن تكون على قدر من التجانس والانسجام، وأن تربط بعدة مصالح مشتركة كلما أمكن ذلك .

وكلما اشترك عدد من الدول فى الانضواء تحت لواء إحدى هذه الفيدراليات الفرعية، فعلى الحكومة العالمية أن تدخل فى اعتبارها العلاقات الخارجية بين الفيدراليات فقط دون تدخل من جانب العلاقات بين

الدول المختلفة الداخلة فى أية فيدرالية إلا إذا كانت هذه العلاقات تنطوى على خطر الحرب أو تتضمن الإتيان بعمل فيه انتهاك للدستور .

وستختلف عن كيفية تشكيل هذه الفيدراليات ، دون شك باختلاف الذى يتم فيه هذا التشكيل ، فلو تم هذا التشكيل فى الوقت الحاضر فإن الانسان يستطيع أن يقترح الترتيب الآتى .

١ – الصين .
٢ – الهند وسيلان .
٣ – اليابان وإندونيسيا .
٤ – العالم الإسلامى من الباكستان الى مراكش .
٥ – افريقيا الاستوائية .
٦ – الاتحاد السوفييتى والدول التابعة له .
٧ – غرب أوروبا وبريطانيا وأيرلندا واستراليا ونيوزيلندا .
٨ – الولايات المتحدة وكندا .
٩ – أمريكا اللاتينية .

وتشكل بعض البلاد التى لا تدخل ضمن هذا التقسيم بعض الصعوبات : مثل جنوب إفريقيا ، وكوريا ، ومن المستحيل التخمين سلفاً بما قد يكون فى أية لحظة

بالذات أحسن ترتيب لمثل هذه الدول .

## سيادة القانون :

ينبغى أن تمثل كل فيدرالية فى مجلس التشريع العالمى بنسبة عدد سكانها . ولابد من وجود دستورين : دستور يحدد علاقة الفيدراليات الفرعية بالفيدراليات العالمية ، ودستور آخر لكل فيدرالية فرعية تكون الفيدرالية العالمية ضامنة له .

وستؤازر الحكومة العالمية الفيدراليات الفرعية والدول الأعضاء التى تتكون منها فى أى إجراء دستورى . ولا ينبغى لها أن تتدخل فى الشئون الداخلية للفيدراليات الفرعية إلا فى حالة اتيان اية فيدرالية بعمل الدستور ، كما ينبغى تطبيق نفس هذا المبدأ على العلاقات بين أية فيدرالية فرعية ومكوناتها من الدول القومية .

ماهى حدود السلطة الواجب تخويلها لمجلس التشريع العالمى ؟ فى الاعتبار الأول ، لا ينبغى أن تصبح أية معاهدة سارية المفعول إلا إذا أقرها هذا المجلس التشريعى الذى يجب أن يخول كذلك سلطة إعادة النظر فى المعاهدات الموجودة حاليا اذا جدت ظروف تجعل من المستحسن القيام بمثل هذا الاجراء . كما ينبغى أيضا أ يكون من حق مجلس التشريع

العالمى أن يعترض على نظم التعليم التى تنتهج سياسة قومية عنيفة قد تشكل خطرا على السلام (١).

وستدعو الحاجة الى انشاء مجلس تنفيذى أيضا ، أرى أن يكون مسئولا أمام المجلس التشريعى . وعلاوة على الاحتفاظ بالقوات المسلحة، فوظيفة المجلس التنفيذى الرئيسية تتلخص فى إزاحة الستار عن أى انتهاك لحرمة الدستور العالمى تقوم به أية دولة قومية أو مجموعة من الدول، وتوقيع العقاب عند الضرورة على القائمين بأمر هذا الانتهاك .

وهناك مسألة أخرى بالغة الأهمية وهى مسألة القانون الدولى . فالقانون الدولى فى الوقت الحاضر على قدر ضئيل جدا من القوة . ومن الضرورى أن يمنح تنظيم قانونى - كمحكمة العدل الدولية فى لاهاى - سلطة تمثل نفس السلطة المخولة للمحاكم القومية .

وأكثر من هذا ، فإنى أعتقد أن يجب أن يكون هناك قانون عقوبات دولى يحاكم بمقتضاه من يرتكبون جرائم شائعة ومستحبة فى بلادهم . لقد كان من المستحيل فى

---

(١) يجب ملاحظة أن براتراند راسل يبارك القوميات المناضلة في سبيل حريتها واستقلالها، ويدين القوميات التوسعية المعتدية. «المترجم»

محاكمات نورمبرج مثلا أن يشعر الانسان بعدالة الأحكام الموقعة كنتيجة للنصر فى الحرب، رغم أنه كان من الواضح أيضا أنه كان ينبغى إيجاد وسيلة قانونية لانزال العقاب على أقل تقدير ببعض الذين أدانتهم المحكمة .

وأعتقد أنه إذا أرادت مثل هذه الحكومة العالمية أن يكتب لها النجاح فى الاقلال من الدوافع الباعثة على الحرب، فلابد لها من أن تعمل جاهدة على الاقتراب الدائم من المساواة الاقتصادية فى مستوى المعيشة فى أنحاء العالم المختلفة . فطالما أن هناك بلادا غنية وأخرى فقيرة فسيكون هناك حسد من الجانب الأخر. ولذلك فإنه يجب ان تكون محاولة السير نحو المساواة الاقتصادية جزاءا من السعى للحصول على سلام داعم وأكيد .

وعلى أية حال فهناك إحساس عام منتشر بكثير من الاعتراضات القوية على انشاء حكومة عالمية . والقومية منشأ قيام اشد هذه الاعتراضات ، لقد تزايد الشعور المشايع للحرية القومية بسرعة فى غضون المائة والخمسين عاما الأخيرة ، وإذا قدر للحكومة العالمية أن ترسى قواعدها فعليها أن تأخذ فى اعتبارها هذا

الشعور وأن تعمل كل مافى وسعها لإرضائه .

والناس الذين يجادلون مدافعين عن الحرية القومية التى لا تخضع لأية قيود لايدركون أن نفس الأسباب التى يستندون إليها تبرر الحرية الفردية غير المقيدة. إننى لن أسلم لأى انسان يحب الحرية، لأنه إذا أردنا أن يتوفر للعالم أكبر قدر ممكن من الحرية ، فمن الضرورى أن يخضع هذا العالم لقيود تحول دون الهجمات العنيفة على حرية الآخرين .

وهذا معترف به فى الشئون الداخلية للدول : فجريمة القتل يعاقب عليها القانون فى كل مكان . ولو ألغيت عقوبة القتل فستقل بذلك حرية الجميع باستثناء القتلة، بل ستكون حرية القتلة نفسها فى غالب الأحيان حرية قصيرة الأجل لأن أمرهم بسرعان ما سينتهى بالقتل . ولكن على الرغم من أن الجميع باستثناء حفنة قليلة من الفوضويين يعترفون بهذا فيما يختص بعلاقة الفرد بالدولة القومية، فإن هناك إحجاما شديدا عن الاعتراف به فيما يتصل بعلاقات الدول القومية بالعالم ككل .

والمحاولات التى بذلت حتى وقتنا هذا لسن مجموعة من القوانين الدولية جديرة بالإعجاب حقا . والمدى الذى استطاع القانون الدولى أن يصل اليه فى اكتساب

الاحترام العام مفيد حقا . ولكن المسألة ظلت اختيارية، لكل دولة قومية أن تختار بين احترام أحكام القانون الدولى وبين عدم الاحتفال بها . فالدول العظمى تتمتع فى الوقت الحاضر بامتياز قتل أعضاء الدول الأخرى كلما عن لها ذلك، ولكنها تغلف هذه الحرية وراء ستار الحق فى البطولة والاستشهاد فى سبيل الدفاع عما هو رشد وصواب، والوطنيون يدأبون على التحدث عن الاستشهاد فى سبيل وطنهم ، ولا يتحدثون مطلقا عن اقتراف جرائم القتل فى سبيل وطنهم .

لقد اقترفت معظم الدول فى وقت أو آخر أعمالا لن تجد الحكومة العالمية مناصا من وصمها بالإجرام ، ولكن بعض المذنبين العتاة فى هذا المضمار قد حظى بإعجاب وتقدير فريق من النسا يعتبرون أنفسهم أحرارا. وأكبر مثل على ذلك فى التاريخ جدير بالذكر هو الإعجاب الذى يحمله إناس كـ «بيرونت» و«هايني» نحو نابليون .

وقبل أن تصبح الحكومة العالمية ممكنة، سيكون من الضرورى حمل الناس على إدراك استحالة دوام الفوضى الدولية الراهنة، فى وقت توجد فيه الأسلحة الحديثة للدمار الشامل .

## ضبط النفس :

والاعتراض القوى . الآخر على قيام حكومة عالمية، وخاصة من جانب الدول الشيوعية، يتلخص فى أنها قد تجمد الأوضاع الراهنة . وطالما أن الصراع بين الشوعيين وأعدائهم سبقى على ماهو عليه في ضراوة وحدة في الوقت الحاضر، فيصعب الوصول إلى اتفاق على إقامة أية تنظيمات دولية يبدو من المحتمل إنها ستعوق انتقال الدول الأفراد من معسكر إلى آخر .

سيكون من الممكن بطبيعة الحال أن تخول أحكام القانون الدولى لكل دولة الحرية فى تنظيم اقتصادياتها الخاصة بالأسلوب الذى يروق لها ، ولكنه قد يثبت أنه من الصعوبة بمكان ضمان احترام هذه الحرية احتراماً حقيقيا . واذا أرادت الحكومة العالمية أن تنجح فى إرساء قواعدها ، فلابد من زيادة التسامح بين أنوا ع الحكم القومى المختلفة بدر جة أكبر بكثير مما هو عليه فى الوقت الحاضر . كما سيكون من الضرورى التخلى عن جانب من اللذات الناجمة عن تأكيد الذات القومية .

قد تستمر كل دولة فى التغنى بأنها أرفع شأنا فى كل أمر هام من سائر الدول الأخرى كما هو الحال الآن. ولكن عندما تجتمع الدول من أجل التفاوض يجب

على المتفاوضين أن يضبطوا أنفسهم ويمتنعوا عن التعبير العام عن شعورهم بالتفوق بحيث لا ينبو عن الذوق واللياقة . ولن يكون ضبط النفس هذا سهلا أو يسيرا إذا استمرت المشاعر القومية على ماهى عليه من حدة فى الوقت الحاضر .

وهناك نقطة جدل أخرى كثيرا ما تستعمل فى مناهضة إنشاء حكومة عالمية فيقال : إنه سينجم عن إقامة حكومة عالمية ظهور خطر جديد يتمثل فى الاستبداد العسكرى - وهو اعتقاد شائع - فما الذى سيمنع القوة الدولية المسلحة من القيام بتمرد عسكرى وتعيين قائدها امبراطورا على العالم؟

ونفس هذه المشكلة بالضبط تواجه كل دولة قومية فى الوقت الحاضر . ولكن السلطات المدنية فى الأمم التى تحتل مركز الصدارة فى العالم قد نجحت نجاحا كبيرا فى السيطرة على الأجهزة العسكرية .

# كتب وأبحاث أخرى للمؤلف

## كتب باللغة العربية :

١ - برتراند راسل الإنسان ، الدار القومية ، القاهرة ١٩٦١ م .

٢ - برتراند راسل المفكر السياسى ، الدار القومية، القاهرة ١٩٦٦ م .

٣ - دراسات تمهيدية فى الرواية الانجليزية المعاصرة ، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٧٦ .

٤ - توفيق الحكيم الذى لا نعرفه ، مطبعة وهدان ١٩٧٤ م .

٥ - اتجاهات سياسية فى المسرح قبل ثورة ١٩١٩، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٩ م .

٦ - برتراند راسل، تأليف آلان وود (ترجمة) ، الأندلس ، بيروت ١٩٨١ م .

٧ - س. ب . سنو والثورة العلمية ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨١ م .

٨ - موسوعة المسرح المصرى البيلوجرافية (١٩٠٠ - ١٩٣٠)، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٢ .

٩ - موقف ماركس وأنجلز من الآداب العالمية، مكتبة

الأنجلو ، القاهرة ١٩٨٤ م .
١٠ – شكسبير فى مصر ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦ م .
١١ – ماذا قالوا عن أهل الكهف ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦ م .
١٢ – جورج أورويل (حياته وأدبه) ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٧ م .
١٣ – الأدب الروسى قبل الثورة البلشفية وبعدها، الألف كتاب الثانى ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٩ م .
١٤ – وول سوينكا (ترجمة) ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٩ م .
١٥ – أدباء روس منشقون فى عهد جوزيف ستالين، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩١ م .
١٦ – الأدب الروسى والبريسترويكا ، دار الهلال، القاهرة ١٩٩١ م .
١٧ – الأدب والجنس، دار أخبار اليوم، القاهرة ١٩٩٣ م .
١٨ – الثالثوت المحزم، دار الهلال ، القاهرة ١٩٩٤م.

١٩ - الشذوذ والإبداع ، دار الهلال ، القاهرة ١٩٩٥ م .

٢٠ - دراسات فى الأدبين الانجليزى والأمريكي، كلية الألسن، جامعة عين شمس ، ١٩٩٥ م .

٢١ - من ستالين إلى جورباتشوف، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ١٩٩٦ م .

٢٢ - الإلحاد فى الغرب، سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربى ، القاهرة وبيروت ١٩٩٧ م .

٢٣ - الهرطقة في الغرب ، سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربى ، القاهرة وبيروت ١٩٩٧ م .

٢٤ - العلم والدين ، تأليف برتراند راسل (ترجمة) ، دار الهلال ١٩٩٧ م .

٢٥ - الرجل الذى مات ، تأليف د. هـ . لورانس (ترجمة) ، دار الهلال ، يولية ١٩٩٧ م .

٢٦ - ملحدون محدثون ومعاصرون، سينا النشر ومؤسسة الانتشار العربى ١٩٩٨ م .

٢٧ - رباعيات الشذوذ والإبداع ، سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربى ١٩٩٨ م .

٢٨ - اليهود والأدب الأمريكى المعاصر، دار الهلال ١٩٩٨. م .

٢٩ - موسوعة الرقابة والأعمال الصادرة فى العالم، مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان ، القاهرة ١٩٩٨ م .

٣٠ - فى مدح الكسل ومقالات أخرى ، تأليف برتراند راسل (ترجمة) ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٨ م .

٣١ - سيرة حياة برتراند راسل ، تأليف آلان وود (ترجمة) ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ١٩٩٨ م .

٣٢ - اليهود والأدب الأمريكى المعاصر، دار الهلال، نوفمبر ١٩٩٨ م .

٣٣ - صورة اليهودى فى الأدب الانجليزى ، دار الهلال ، مارس ١٩٩٩ م .

٣٤ - الهولوكست بين الإنكار والتأكيد، دار الهلال، ديسمبر ٢٠٠٠ م .

٣٥ - اليهود في الأدب الأمريكى فى أربعة قرون، مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠١ م .

٣٦ - الهولوكست فى الأدب الفرنسى ، دار نهضة الشرق، يناير ٢٠٠١ م .

٣٧ - اليهود فى الأدب الروسى ، دار نهضة الشرق يناير ٢٠٠٢ م .

٣٨ - محاكم التفتيش ، دارالهلال ٢٠٠٢ م .

٣٩ - محاكم التفتيش في أسبانيا ، مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان ، القاهرة ٢٠٠٢ م .

٤٠ - محاكم التفتيش فى إيطاليا ، دار الهلال ٢٠٠٣ م .

٤١- أبرز ضحايا محاكم التفتيش ، الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٤ م .

٤٢ - محاكم التفتيش فى فرنسا (المجلس الأعلى للثقافة) ٢٠٠٥ م .

٤٣ - ألبرت أينشتاين : سيرة حياته (المجلس الألى للثقافة) ٢٠٠٥ م .

٤٤ - ترجمة انجليزية لكتاب «شكسبير فى مصر» ، مكتبة الإسكندرية (٢٠٠٣) .

٤٥ - اليهود في الأدب الأنجليزى من القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين (الهيئة العامة للكتاب) ٢٠٠٥م .

٤٦ - محرقة اليهود : أوشويتز - بيركينو ، مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠٦ .

٤٧ - من أدب الانشقاق : ألكسندر سولنجنتسين ، دار الهلال ٢٠٠٦ .

٤٨ – الفجر بين المجزرة والمحرقة ، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٦ .

٤٩ – معسكر اعتقال برجن – بلسن ، مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠٧ .

٥٠ – معسكر اعتقال رافنزبروك، مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠٧ .

٥١ – العرب ومحرقة اليهود ، كتاب اليوم ٢٠٠٧ .

٥٢ – معسكر اعتقال ماثزون (المجلس الأعلى للثقافة) (تحت الطبع) .

٥٣ – معسكر اعتقال دورا (الهيئة العامة للكتاب) (تحت الطبع) .

٥٤ – معسكر اعتقال بوخنوالد، مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠٨ .

٥٥ – فلاديمير نابوكوف : حياته وأدبه (تحت الطبع).

٥٦ – معسكر اعتقال صوبيبور (تحت الطبع) .

٥٧ – معسكر اعتقال تريبلنيكا (تحت الطبع) .

## ٢ – مقال باللغة العربية :

نقد رواية العنقاء، تأليف لويس عوض ، المجلة ، فبراير ١٩٧٠ م .

٣ - كتب باللغة الانجليزية :

1 - Naguib ?ahfouz The Beginning and teh End 'TRANSLATION ; The A,erican Univ.in Cairo 1975

2 - George Orwell as an A,bivalent Writer , Nationql Bookshop Cairo, 1968

3 -Animal Farm; Natioal Bookshop; Cairo 1978

4 -9 Nineteen Eighty Four National Book-shop Cairo 1978

5 - Hardy S Trqgic and Ironic Vision in Tess; Nationl Bookshop; Cairo 1978 .

6 - Shakespeae in Egypt. Rapack. Cairo 1980 .

7 - ENGLISH LITERARY Criticisan; Univ. Book Tqnta

8 -

9-

10-

11 -

12

13 - Merchant of Venicc,Anglo,Egyptian, Cairo, 1989.

14 - Jane Eyre, Anglo, Egyptian, Cairo, 1989.

15 - A Passage to India, Anglo, Egyptian, Cairo, 1994.

16 - Robinson Crusoe, Anglo, - Egyptian, Cairo, 1994.

17 - Animal Farm, Anglo, - Egyptian, Cairo, 1995.

18 - Lord of the Flies, Anglo, - Egyptian, Cairo, 2004.

19 - As You like It, Anglo, - Egyptian, Cairo, 2004.

20 - The Adventures of Huckleberry Finn, Anglo, - Egyptian, Cairo,2004.

21 - Oliver Twist, Anglo, - Egyptian, Cairo, 2004.

22 - The Vicar of Wakefield, Anglo, - Egyptian, Cair, 2004.

23 - Emma Anglo, - Egyptian, Cairo, 2004.

24 - A Midsummer Nightصs Dream, Anglo,

Egyptian, Cairo, 2004.

25 - The Tempest, Anglo, - Egyptian, Cairo, 2004.

26 - Julius Caesar, Anglo, - Egyptian, Cairo, 2004.

27 - Hamlet, Anglo, - Egyptian, Cairo, 2004.

28 - Romeo and Juliet, Anglo, Egyptian, - Cairo, 2004.

29 - Twelfth Night, Anglo, - Egyptian, 2004.

30 - Sense and Sensibility Anglo, - Egyptian, 2004.

31 - To the Lighthouse, Anglo, - Egyptian, 2004.

32 - Forthcoming: Egypt in the Modern British Novel: A Collection of Articles on Newby, Ghali, Enright, Forster, Liddel and Olivia Manning, Published in Al-Ahram weekly in the following issues, 4 July, 5 September, 10,24 October (1991) and 23, 30 January, 1, 23 April (1992).

٤ – مقالات باللغة الإنجليزية :

-١John Wainصs ıYoung Vistitorsب, Faculty of Alsun Journal. 1975.

2 - ıking Lear as a Religious Playب, Faculty of Alsun Journal, 1976.

3 - ıOrwell as a Literary Criticب, Faculty of Alsun Journal, 1976.

4 - ıThe Development of Liberal .Culture in Modem Egyptب, a series of articles Published in the Egyptian Gazette in the following issues, 23, 30, March, 6: 13. 20. 27.28 April, 4. 11 May, 1983.

# الفهرس


مقدمة .............................................. ٣

**الفصل الأول :**

برتراند راسل أمام المحاكم الإنجليزية ................. ١٩

**الفصل الثانى :**

محاكمة برتراند راسل فى أمريكا ...................... ٤٥

**الفصل الثالث :**

دعوة راسل إلى السلام العالمى

وموقفه من الحرب العالمية الثانية ................... ١٢٥

التعقل والحرب النووية ............................ ١٣٨

موقف راسل من الحرب العالمية الثالثة

من كتاب هل للإنسان مستقبل ؟ ...................... ١٦١

١٥ أبريل ٢٠٠٩

# روايات الهلال






رئيس مجلس الإدارة
عبد القادر شهيب

رئيس التحرير
عادل عبد الصمد

# هذا الكتـاب

يحتل الفيلسوف والمفكر الإنجليزى برتراند راسل (١٨٧٢ - ١٩٧٠) مكانة مميزة فى تاريخ الفكر العالمى المعاصر ، بأفكاره وآرائه ومواقفه الفلسفية والاجتماعية والسياسية .

ومن أشهر مواقفه وإنجازاته التى تحسب له أنه كان من أبرز الساسة الإنجليز الذين أسهموا بنصيب وافر فى إرساء قواعد الديمقراطية فى بريطانيا . وكان تكوين راسل العقلى مستمدا من دراسته للرياضيات والفلسفة مما أعطى لآرائه الفلسفية والفكرية بعدا عقلانيا رصينا.

وكانت فلسفة راسل تقوم على العقل وتمجد التشكك فيما لا يستطيع عقل الإنسان إثباته أو البرهنة عليه وفى نفس الوقت حرصها على الأمانة الفكرية مهما كان الثمن ، والإيمان بأن التشكك والقلق الفكرى الذى يجىء فى أعقابه كنتيجة لانعدام المعرفة اليقينية ينطويان على شجاعة أدبية وفضيلة أخلاقية .

ويجىء هذا الكتاب للدكتور رمسيس عوض ليلقى لنا الأضواء على حياة هذا الفيلسوف والمفكر الكبير ويناقش مكوناته الفلسفية والفكرية ومواقفه الاجتماعية والسياسية والمراحل التى مر بها فكره الفلسفى . من إعجابه بالفيلسوف الألمانى «كانت» ثم تأثره بالفلسفة الهيجلية التى ترضى الرغبة فى الإيمان عن طريق الاستمساك بجوهر الدين فى إطار عقلى معقد ، لا تحده الحدود التقليدية العنيفة، ثم تأثره بفلسفة أفلاطون حيث آمن بأن هناك عالما كاملا عن المثل كاملا سرمديا لا يعرف التغيير.

أما مواقفه الفكرية، فقد مر بعدة مراحل: إيمانه بالاستعمار ثم نبذ هذا الفكر ، ثم تأثر بالفكر الاشتراكى والماركسي الذى دافع عنه ثم انقلابه على الفكر الشيوعى الدموى، ثم اهتدائه فى سنواته الأخيرة إلى تلك النظرة الإنسانية الواسعة للإنسان بعد زيارته للصين ، حيث تعلم أن ينظر إلى الحاضر الإنسانى فى ضوء الاحقاب التاريخية السحيقة.

إنها سيرة حياة وسيرة فكر وسيرة فيلسوف بارز من فلاسفة القرن العشرين المرموقين.

# مجلة الفكر والثقافة الأولى فى مصر والعالم العربى

مايو ٢٠٠٩ — الثمن ٥ جنيهات


الهلال

يا زمان الوصل بالهلال


رئيس مجلس الإدارة
عبد القادر شهيب

رئيس التحرير
عادل عبد الصمد

# روايات مصرية للجيب

## شـــلال متدفّق من الروايات





المؤسســة العربيــة الحديثــة للطبــع والنشــر والتوزيــع 10 ، 16 ش كامــل صدقى الفجالــة ،
4 ش الإسحاقى بمنشية البكرى روكسى مصر الجديدة - القاهرة - ت : 26823792 - 25928202 - 22586197
فاكــس - 202/25966650 ج.م.ع ، 4 ش بدوى محــرم بك - الإسكندريــة ت : 03/4970840 - 03/4970850